

الفجر

Monthly Arabic Magazine
AL-FAJR



مدير التحرير

محمد نور الدين المصباحي الأزهرى

رئيس التحرير

محمد رضا القادري المصباحي النقشبندى

مَجَلَّةُ عَرَبِيَّةٌ شَهْرِيَّةٌ جَامِعَةٌ

الفجر

تصدر عن مؤسسة علماء نيبال

المجلس الإداري

رئيس التحرير	: محمد رضا القادري المصباحي النقشبندی
مدير التحرير	: محمد نورالدين المصباحي الأزهری
مساعد التحرير	: محمد نورالله المصباحي الأزهری (نيبال)
مساعد التحرير	: محمد عباس المصباحي الازهری (الهند)
الإخراج الفني	: محمد احمد رضا المصباحي ، محمد شاہد رضا المصباحي
مسؤول النشر والتوزيع	: عبدالجبار العليمی النظامي (نيبال)

المراسلة

توجه جميع المراسلات إلى:

المدير: +91-9717023970

المساعد: +91 9236409156

 alfajr.editor@gmail.com

 alfajrmagazine.in

تنبيه:

الآراء المنشورة لا تمثل رأي المجلة.

أعضاء المجلس

فضيلة الشيخ نور محمد خالد المصباحي البركاتي المستشار الثقافي

محمد صدام حسين الأمجدي الأزهری نيبال

أبو ســــــــــــعد خان العليمي الأزهری الهند

محمد محبوب رضــــــــــــا الأزهری نيبال

شــــــــــــجر الدين العليمي الأزهری نيبال

محمد رحمت علي المصــــــــــــباحي نيبال

محمد فهيم خان العليمــــــــــــي نيبال

محمد طارق رضــــــــــــا الازهری

محمد تنوير رضــــــــــــا الازهری

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

قارئنا العزيز، نلتقي بكم في هذا العدد الجديد من «الفجر»، حاملين رسالة تجمع بين أصالة المعرفة وروح العصر، وتواكب قضايا الإنسان والمجتمع. نصحبكم في رحلة مع القرآن الكريم، وتعليم القراءة في الإسلام، وفكر الإمام محمد الغزالي، ونفتح ملفات الصحافة والأمن، ووسائل التواصل والشباب المسلم. كما نناقش قضايا الذكاء الاصطناعي، وتأثيره في الإنسان والمجتمع، ومستقبل العالم بعد ألف سنة، وما قد تحمله هذه التقنية من فرص وتحديات. نرجو أن تجدوا في صفحات هذا العدد علمًا نافعًا، وفكرًا متزنًا، ورؤية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

رئيس التحرير
محمد رضا المصباحي

فهرس العدد

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٢	عندما يتصادم الصحفي والشاباك	فايز أبو رزق
٨	رحلة مع القرآن (الحلقة الأولى)	شكيل شفائي
٩	هل يسرق الروبوت مهنة الأخصائي الاجتماعي والنفسي؟	دكتور / محمد شرف
١٦	العقلُ البشريُّ على خُطى الذكاء الاصطناعيِّ	د/ محمد جيلاني المصباحي
١٧	كيف سيكون العالم بعد ألف سنة؟	محمد نور الدين الأزهري
٢٢	القنبلة الصامتة، الذكاء الاصطناعي...	زركار عقراوي
٣٢	محمد الغزالي وفنّ النظر الشرعي	عيد محمد عبدالغني
٤٠	حركة المسلمين السابقين...	د. حسن المدني الندوي
٤٧	من إدارة الحسابات إلى صناعة التأثير...	محمد جاسم حميد
٤٨	تَعْلِيمُ الْمَرْأَةِ فِي الْإِسْلَامِ	محمد عارف المنظري الأزهري
٥٢	الشباب المسلم في عصر وسائل التواصل الاجتماعي	حذيفة محمد ابراهيم

عندما يتصادم الصحفي والشاباك

ثلاث قضايا تختبر حدود الإعلام الإسرائيلي

الإدارية

تضع المعلومات السرية الصحافة الإسرائيلية أمام مواجهة مستمرة مع الأجهزة الأمنية، حيث يقف حق الصحفي في نشر المعلومات أمام إصرار الدولة على حماية أسرارها. وفي هذه المساحة الحساسة، تتخذ العلاقة بين جهاز الأمن العام (الشاباك) والصحفيين الإسرائيليين أشكالاً مختلفة، فقد يسعى الجهاز إلى كشف مصدر التسريب، أو يتدخل لمنع وثيقة من الوصول إلى الجمهور، أو يجد نفسه أحياناً أمام معلومات تخرج من داخله.

وتكشف ثلاث قضايا مختلفة هذه المعادلة من زوايا متعددة، من تسريب وثائق عسكرية إلى صحفي، مروراً بتوظيف الإعلام الأجنبي كأداة لتجاوز الرقابة العسكرية، وصولاً إلى تسريب معلومات من داخل الشاباك إلى صحفيين وشخصية سياسية.

ولا تدعي هذه الحالات الثلاث، مهما بلغت أهميتها، الإحاطة بشبكة العلاقات المعقدة بين الأجهزة الأمنية والصحفيين في إسرائيل، وإنما تقدم نماذج مختلفة تساعد على فهم بعض جوانب هذا التشابك، وحدوده.

عنات كام وأوري بلاو: من تسريب الوثائق إلى كشف المصدر

بدأت عنات كام تجربتها الصحفية في سن مبكرة وهي لا تزال طالبة في المرحلة الثانوية، حيث كتبت لصحيفة "يروشلايم" المحلية وقسم الشباب في موقع "واللا"^(١).

في يوليو ٢٠٠٥، تجندت كام لأداء

الخدمة العسكرية الإلزامية، وفي أغسطس من العام نفسه بدأت الخدمة في مكتب قائد المنطقة الوسطى يائير نافيه، وفي أبريل ٢٠٠٦، عينت مساعدة لرئيس مكتبه، وهو الموقع الحساس الذي أتاح لها الاطلاع المباشر على أوامر وعروض ووثائق عسكرية مصنفة بدرجات أمنية عالية، صادرة عن أقسام في هيئة الأركان ومكتب رئيس الأركان^(٢).

وقبل نحو أسبوعين أو ثلاثة من تسريحها من الجيش الإسرائيلي، قررت كام إخراج الوثائق التي اطلعت عليها خلال خدمتها، وطلبت من إحدى موظفات الحاسوب نسخ مجلد الوثائق إلى أسطوانة مدمجة. واحتفظت كام بالمواد بعد تسريحها حتى يونيو ٢٠٠٨، حين قررت استخدامها والتواصل مع الصحفي في صحيفة "هآرتس" أوري بلاو؛ حيث أبلغته بحيازتها مواد تهمه، قبل أن تسلمه وحدة التخزين التي تحتوي على الوثائق^(٣).

في نوفمبر ٢٠٠٨، نشرت هآرتس تقارير للصحفي بلاو استناداً إلى وثائق حصل عليها من كام. وكشف أحد التقارير عن تنفيذ عمليات اغتيال لناشطين فلسطينيين في الضفة الغربية في حالات كان يمكن فيها اعتقالهم، بما يخالف القيود التي حددتها المحكمة العليا الإسرائيلية في قرارها الصادر ديسمبر ٢٠٠٦. وأظهرت الوثائق أن كبار الضباط، ومن بينهم رئيس الأركان آنذاك غابي أشكنازي وقائد المنطقة الوسطى يائير نافيه، ناقشوا هذه العمليات ووافقوا عليها.

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



فايز أبو رزق

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

وحصلت التقارير التي نشرتها هآرتس على موافقة الرقابة العسكرية قبل نشرها، فيما منعت الرقابة نشر الوثائق كاملة، وسمحت فقط بنشر تفاصيل محددة رأت أنها لا تمس بالأمن، وحجبت الجزء الأكبر منها^(٤).

وفي السياق نفسه، أظهرت التحقيقات اللاحقة أن الوثائق التي حصل عليها بلاو تضمنت أيضا معلومات سرية عن خطط عسكرية، بينها خطط أولية وعملياتية لعملية الرصاص المصوب التي شنها الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة في ديسمبر ٢٠٠٨. وأدت القضية إلى تغيير جذري في إجراءات أمن المعلومات داخل الجيش، بما في ذلك تشديد الرقابة على الوصول إلى الوثائق والحد من إمكانية نسخها أو إخراجها^(٥).

عقب النشر، فتح الشاباك تحقيقا لكشف مصدر الوثائق التي وصلت إلى بلاو، الذي كان قد غادر إلى لندن. وفي سبتمبر ٢٠٠٩، أبرم بلاو اتفاقا مع الجهاز لإعادة الوثائق السرية التي بحوزته، وأعاد بموجب الاتفاق نحو ٥٠ وثيقة. لكن الاتفاق لم يضمن عدم استخدام هذه الوثائق عمليا للوصول إلى مصدرها؛ إذ كانت الوثائق التي أعادها بلاو هي التي مكنت محققي الشاباك في نهاية المطاف من الوصول إلى كام، التي اعترفت لاحقا بأنها أخرجت من الجيش قرابة ألفي وثيقة، وليس ٥٠ وثيقة فقط. وهكذا، فإن الاتفاق الذي كان يفترض أن ينهي القضية ويضمن إعادة الوثائق، لم يوفر حماية فعلية للمصدر، بل ساعد في كشف هويته، وانتهت القضية باعتقال كام ومحاكمتها^(٦).

في ديسمبر ٢٠٠٩، اعتقلت كام

وخضعت للتحقيق من قبل الشاباك، ثم أرسلت إلى الإقامة الجبرية في منزلها، فيما فرض أمر حظر نشر على القضية. وبعد أشهر، وفي أبريل ٢٠١٠، رفع الحظر جزئيا، وكشف عن اعتقالها، لتخرج القضية إلى العلن بعد أن ظلت تفاصيلها محاطة بالسرية.

وفي يناير من العام نفسه، كانت قد وجهت إليها لائحة اتهام تضمنت في بدايتها اتهامات تتعلق بتسليم معلومات سرية وحيازتها، إلى جانب اتهامها بالتصرف بقصد الإضرار بأمن الدولة. لكن في إطار صفقة ادعاء، حذفت البنود المتعلقة بهذه النية، وانتهت القضية بإدانتها بتسليم معلومات سرية وحيازتها.

وبعد نحو عام ونصف، أصدرت المحكمة المركزية في تل أبيب، في أكتوبر ٢٠١١، حكما بسجنها أربع سنوات ونصف، إضافة إلى ١٨ شهرا مع وقف التنفيذ. وخلال المحاكمة، أقرت كام بأفعالها، وقالت في شهادتها إنها باتت ترى ما فعلته باعتباره فكرة في غاية حماقة^(٧).

أما الصحفي أوري بلاو، فبعد عودته إلى إسرائيل، واجه إجراءات قضائية على خلفية عدم تسليمه جميع المستندات السرية التي كانت بحوزته وعدم التزامه بالكامل بالاتفاق الذي أبرمه مع السلطات. وفي يوليو ٢٠١٢، حكمت عليه المحكمة بالسجن أربعة أشهر، حولت إلى خدمة للمصلحة العامة^(٨).

فيلدشتاين ووثيقة بيلد: عندما تتجاوز الوثيقة الحدود

تأخذ القضية الثانية المشهد إلى مستوى مختلف، ففي أعقاب أحداث السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، ومع تصاعد الاتهامات المتبادلة بين المستوى

السياسي والمؤسسة الأمنية حول مسؤولية الإخفاق، أصبح تسريب المعلومات جزءا من الصراع على الرواية العامة، ولم يعد مقتصرًا على كشف معلومات للصحافة.

وتجسد قضية إيلعازر(إيلي) فيلدشتاين والوثيقة المنشورة في صحيفة "بيلد" الألمانية في سبتمبر ٢٠٢٤ هذا التحول بشكل واضح؛ إذ جرى تجاوز حظر الرقابة العسكرية من خلال نقل الوثيقة إلى الإعلام الأجنبي أولاً، لتعاد قراءتها ونقلها في الإعلام الإسرائيلي باعتبارها مادة منشورة في صحيفة أجنبية، مما حول الواقعة إلى أزمة داخلية وتحقيق مشترك شاركت فيه الشرطة والجيش والشاباك.

وكان فيلدشتاين ينشط مستشاراً إعلامياً لشؤون الجيش والأمن في مكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، من دون أن يشغل هذا المنصب بتعيين رسمي. ووفق ما سمحت المحكمة بنشره، حصل فيلدشتاين في أبريل ٢٠٢٤ على نسخة من الوثيقة السرية عبر ضابط احتياط في وحدة استخباراتية سرية، وقال الضابط إنه نقلها إلى نتنياهو وتساعدته في إدارة ملف المفاوضات. لكن بعد مقتل الأسرى الإسرائيليين الستة في مدينة رفح أواخر أغسطس، قرر فيلدشتاين في بداية سبتمبر نشر الوثيقة في وسائل الإعلام لتوجيه الرواية العامة حول المفاوضات وحشد الدعم لموقف الحكومة أمام الانتقادات الشعبية. غير أن خطته الأولى اصطدمت بفيتو الرقابة العسكرية التي حظرت تداولها محلياً؛ فاتجه إلى الالتفاف على القرار عبر نقل الوثيقة عبر وسيط إلى صحيفة "بيلد" الألمانية، بالتوازي مع إحاطة مراسلين إسرائيليين بصدورها المرتقب. ومع نشر بيلد تقريرها

المستند إلى المادة المسربة في سبتمبر ٢٠٢٤، سرعان ما عادت إلى الإعلام الإسرائيلي لتفجر سجلاً سياسياً واسعاً.

وعقب النشر، أطلق رئيس الأركان آنذاك هرتسي هاليفي تحريات داخلية سرعان ما تحولت إلى تحقيق مشترك بين الجيش والشرطة والشاباك. وكشفت الفحوصات أن الوثيقة مصنفة سرية للغاية، وأن كشفها قد يلحق ضرراً بجهود تحرير الأسرى وبطرق عمل الأجهزة الأمنية في قطاع غزة. ومع تشكيك بعض الأطراف في صحة النص المنشور، عاد فيلدشتاين إلى مصدره الأمني للحصول على النسخة الأصلية ووثيقتين إضافيتين، قبل أن تقود التحقيقات إلى اعتقاله وعدد من المتورطين في مسار التسريب^(٩).

وتجدر الإشارة إلى أن القضية انتقلت من مرحلة التحقيق إلى المسار القضائي؛ فقد قدمت في نوفمبر ٢٠٢٤ لائحة اتهام ضد إيلعازر فيلدشتاين وضابط الاحتياط في شعبة الاستخبارات العسكرية أمان، الذي كشفت هويته لاحقاً، وتبين أنه آري روزنفيلد^(١٠).

ثم عدلت لائحة الاتهام في يونيو ٢٠٢٦ لتشمل أيضاً يوناتان أوربخ، المستشار السياسي والإعلامي لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. ولا تزال القضية منظورة أمام المحكمة من دون صدور حكم نهائي حتى الآن^(١١).

تسريب من داخل الشاباك: عندما يصبح الموظف مصدراً للمعلومات

وفي أبريل ٢٠٢٤، أخذت العلاقة بين الأمن والإعلام شكلاً مختلفاً، عندما اتجه التحقيق هذه المرة إلى داخل الشاباك نفسه. فقد فتحت وحدة التحقيق مع أفراد الشرطة (مباحث) تحقيقاً ضد ضابط

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

في الجهاز، أُشير إليه بالرمز "أ"، للاشتباه في استغلال صلاحياته والوصول إلى وثائق سرية، قبل نقل معلومات منها إلى صحفيين إسرائيليين وإلى وزير شؤون الشتات عميحي شيكلي.

وكان الضابط يشغل موقعا حساسا يتيح له الوصول إلى وثائق ومعلومات داخلية، قبل أن تنتهي إحدى نوبات خدمته باعتقاله بشكل مفاجئ. وهكذا، لم يعد الشاباك في هذه القضية يلاحق صحفيا بحثا عن مصدر للمعلومات، بل وجد نفسه أمام موظف من داخله يشتبه في أنه أصبح مصدرا للمعلومات التي وصلت إلى الإعلام والسياسة.

وكشفت خيوط التحقيق تدريجيا مسار هذه الوثائق والجهات التي وصلت إليها. فقد وصلت إحدى المواد السرية إلى وزير شؤون الشتات عميحي شيكلي والصحفي عميت سيغال، وتناولت فحص الشاباك لشبهات تغلغل "الفكر الكاهاني" في أوساط قيادات الشرطة. وفي مسار آخر، وصلت إلى الصحفية شيريت أفيطان كوهين وثيقة تتعلق بموقف الجهاز من الأحداث التي سبقت هجوم السابع من أكتوبر، وهي الوثيقة التي رأى "أ" أن مضمونها يتعارض مع ما خلص إليه الجهاز لاحقا في تحقيقاته بشأن إخفاقات ذلك اليوم.

لكن "أ" لم ينقل المعلومات إلى الصحفيين بشكل مباشر، وإنما استخدم وسيطا لنقلها. وهكذا تحولت القضية من مجرد تسريب وثائق من داخل جهاز أمني إلى شبكة من الاتصالات السرية امتدت من أروقة الشاباك إلى الإعلام والسياسة (١٢).

وتكشف تفاصيل هذا الملف وجها جديدا للعلاقة بين الأمن والإعلام؛ ففي بداية التحقيق، لم يكن "أ" متهما

بجريمة الإضرار بأمن الدولة، وإنما بتسليم معلومات سرية، بعدما خضعت المواد التي وصلت إلى الصحفيين للرقابة العسكرية قبل نشرها. كما أكدت ماحاش أن التحقيق لم يشمل التنصت على هواتف الصحفيين الذين تلقوا المعلومات لم يستجوبوا أو يطلب منهم الإدلاء بشهاداتهم (١٣).

ولم تتوقف القضية عند حدود التحقيق الأولي. ففي أكتوبر ٢٠٢٥، أعلنت ماحاش نيّتها تقديم لائحة اتهام، خاضعة لجلسة استماع، ضد "أ"، الذي كان قد شغل منصب نائب رئيس وحدة في الشاباك، بتهم تتعلق بتسليم معلومات سرية ومحاولات تسريبها. ووفقا لما نشرته يديعوت أحرونوت، خلص التحقيق إلى أن الأفعال المنسوبة إليه تسببت في ضرر استخباري وإضرار بأمن الدولة.

وفي المقابل، أكد محاموه أنه نقل معلومات ذات أهمية عامة، مع الحرص على عدم نقل معلومات سرية أو معلومات يمكن أن تلحق الضرر بأمن الدولة. وبين موقف سلطات التحقيق ودفاع المتهم، بقيت القضية في المسار القضائي من دون صدور حكم نهائي حتى ذلك الوقت (١٤).

اختراق الحصانة الرقمية: كيف يراقب الشاباك بلا تنصت؟

وإلى جانب الحالات الثلاث الرئيسية، تبرز ممارسة أمنية ثابتة تكشف جانبا مهما من علاقة الشاباك بالصحافة، توضح قدرة الجهاز على الوصول المباشر إلى بيانات الاتصالات. فقد كشفت أزمة كورونا عام ٢٠٢٠ عن وجود قاعدة بيانات ضخمة لدى الشاباك، تتلقى بصورة مستمرة وآلية بيانات الاتصالات لكافة المواطنين والمقيمين في إسرائيل من

الجهاز، ليتراوح دور الصحافة بين كونها هدفا لمراقبة الأجهزة الأمنية من جهة، وشريكا في صياغة وتمير الرواية الرسمية من جهة أخرى.

خاتمة: إعادة تشكيل المعادلة بين حق المعرفة وأسرار الدولة

تكشف القضايا الثلاث أن العلاقة بين الإعلام الإسرائيلي والأجهزة الأمنية لم تعد محكومة بالصورة التقليدية للعلاقة بين صحفي يبحث عن المعلومة وجهاز يفرض الرقابة العسكرية. ففي قضية كام وبلاو، تركزت الملاحقة في البعد الاستقصائي الكلاسيكي لكشف مصدر الوثائق العسكرية بعد نشرها محليا؛ وفي قضية فيلدشتاين، وظفت المادة المسربة لتجاوز الرقابة عبر التدويل والإعلام الأجنبي لخدمة أهداف سياسية؛ بينما أظهرت قضية تسريبات الشاباك اختراقا داخليا كان مصدر المعلومة فيه من كوادرات الجهاز نفسه. وفي المقابل، تؤكد الأنظمة الرقمية وقواعد البيانات أن حماية سرية المصادر أصبحت محاطة بالتحديات؛ إذ يتيح تعقب بيانات الاتصالات والمواقع كشف شبكة العلاقات الحركية للصحفي وسجل تواصله دون الحاجة للتنصت التقليدي. وأمام هذا الواقع، تتضح المساحة الشائكة التي يتحرك فيها الصحفي الإسرائيلي؛ حيث تتداخل حرية النشر وحماية المصادر مع اعتبارات الأمن القومي، لتظل الحدود الفاصلة بين الحق في المعرفة وحماية أسرار الدولة موضع سجال مستمر يشارك في رسم معالمه الأمن والإعلام والقضاء.

المصادر

(١) موقع يديعوت أحرونوت (واي نت)، "عنات كام رهن الإقامة الجبرية"، بقلم يواف زيتون، ٨ أبريل ٢٠١٠، متاح باللغة العبرية.

شركات الاتصالات في إسرائيل، تشمل معلومات عن المكالمات والمواقع، استنادا إلى المادة الحادية عشرة من قانون الشاباك التي تمنح الجهاز أساسا قانونيا للوصول إليها دون الحاجة إلى أمر قضائي.

ولا تقتصر قيمة هذه البيانات على معرفة موقع الشخص واتصالاته في وقت معين، إذ تتيح قاعدة البيانات، العودة إلى سنوات سابقة وتحليل أنماط الاتصال والحركة، بما يساعد على رسم شبكة العلاقات وتحديد النقاط الجغرافية التي التقى فيها الأشخاص^(١٥).

وهنا تبرز إحدى أكثر المسائل حساسية بالنسبة إلى الصحافة، فحتى من دون الاستماع إلى مضمون المكالمات، يمكن لتحليل بيانات الاتصالات أن يوفر مؤشرات تساعد في كشف العلاقة بين الصحفي ومصدره، وهو ما يطرح سؤالاً جدياً حول مدى قدرة السرية المهنية على الصمود أمام هذه القدرات الرقمية.

ظاهرة "الباب الدوار": التداخل المؤسسي بين الأمن والإعلام

ولا تقف حدود هذه العلاقة عند أبعد التسريب والرقابة والملاحقة، بل تمتد لتتجسد في ظاهرة "الباب الدوار" بين المؤسسة الأمنية والإعلام؛ إذ برز صحفيون ومحللون بارزون في الشؤون العربية والأمنية ممن سبق لهم العمل داخل الشاباك، من بينهم تسفي يحزقيلي وروني شاكيد.

ويؤكد هذا التداخل المؤسسي أن المواجهة بين الطرفين ليست مسارا أحادي الاتجاه، وأن الصحفي لا يقف دائما في موقع الخصم؛ ففي مقابل الملاحقة والرقابة الرقمية، تتسع الساحة الإعلامية لصحفيين يتكاملون مع

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ
سبتمبر ٢٠٢٦ م

٢٠٢٤، متاح باللغة العبرية.

<https://www.ynet.co.il/news/article/sym5atpgyg>

(١٠) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "سمح بالنشر: آري روزنفلد هو المتهم في قضية الوثائق السرية"، بقلم نتاعيل بندل وشيلا فريد، ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح باللغة العبرية.

<https://www.ynet.co.il/news/article/rjlougvr1g>

(١١) موقع كان (هيئة البث العام الإسرائيلية)، "تقديم لائحة اتهام ضد أوربخ في قضية بيلد، والمحكمة رفضت طلب إبعاده عن مكتب رئيس الوزراء"، بقلم روعي يانوفسكي، ١١ يونيو ٢٠٢٦، متاح باللغة العبرية.

[https://www.kan.org.il/content/kan-](https://www.kan.org.il/content/kan-news/politic/1051651/)

[news/politic/1051651/](https://www.kan.org.il/content/kan-news/politic/1051651/)

(١٢) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "الاشتباه بالتسريب، التحقيق الاستثنائي، ورواية رجل الشاباك"، بقلم نتاعيل بندل، ليران تماري، ويوآف زيتون، ١٦ أبريل ٢٠٢٥، متاح باللغة العبرية.

<https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra14334807>

(١٣) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "الوثيقة السرية للوزير، التسريب ورواية المشتبه به، تفاصيل القضية الجديدة في الشاباك"، بقلم ليران تماري، ١٦ أبريل ٢٠٢٥، متاح باللغة العبرية.

<https://www.ynet.co.il/news/article/sykmm13a1x>

(١٤) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "سيتم توجيه الاتهام إلى رجل شاباك في قضية وثائق سرية"، بقلم ليران تماري، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٥، متاح باللغة العبرية.

<https://www.ynet.co.il/news/article/sjpabzatlg>

(١٥) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "الكشف عن "الأداة": قاعدة البيانات السرية التابعة للشاباك التي تجمع معلومات عن كافة مواطني إسرائيل"، بقلم رونين بيرغمان وعيدو شفرشتوخ، ٢٧ مارس ٢٠٢٠، متاح باللغة العبرية.

[https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-5701412,00.html)

[5701412,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-5701412,00.html)

□□□

[https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-3873204,00.html)

[3873204,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-3873204,00.html)

(٢) موقع أخباري القناة ١٣، "تم الكشف عن القضية: صحفية متهممة بالتجسس بعد تسليمها وثائق لصحيفة هآرتس"، بقلم دورون ناحوم، ٨ أبريل ٢٠١٠، متاح باللغة العبرية.

<https://13news.co.il/item/news/domestic/ntr-710445/>

(٣) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "شهادة: حاولت أن أكون بطلا وشخصا ذا أخلاق في جهاز الأمن العام"، بقلم نعمما كوهين فريدمان، ٤ أكتوبر ٢٠١١، متاح باللغة العبرية.

[https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4130770,00.html)

[4130770,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4130770,00.html)

(٤) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "جنديّة جاسوسة: سرقت آلاف الوثائق شديدة السرية"، بقلم فيرد ليبوفيتش، ٨ أبريل ٢٠١٠، متاح باللغة العبرية.

[https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3871970,00.html)

[3871970,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3871970,00.html)

(٥) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "حدود أمن المعلومات: الجيش الإسرائيلي بعد عنات كام"، بقلم يوآف زيتون، ٣١ أكتوبر ٢٠١١، متاح باللغة العبرية.

[https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4141550,00.html)

[4141550,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4141550,00.html)

(٦) موقع العين السابعة، "القط والفأر والقشطة"، بقلم عنات بالينت، ١٥ يونيو ٢٠١٢، متاح باللغة العبرية.

<https://www.the7eye.org.il/8842>

(٧) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "الحكم على عنات كام بالسجن أربع سنوات ونصف"، بقلم نعمما كوهين فريدمان، ٣٠ أكتوبر ٢٠١١، متاح باللغة العبرية.

[https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-](https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-4140991,00.html)

[4140991,00.html](https://www.ynet.co.il/articles/mobile/0,7340,L-4140991,00.html)

(٨) موقع والا، "أربعة أشهر من الخدمة المجتمعية للصحفي أوري بلاو"، بقلم جلعاد غروسمان، ٣ سبتمبر ٢٠١٢، متاح باللغة العبرية.

<https://news.walla.co.il/item/2564052>

(٩) موقع ידיעות أحرونوت (واي نت)، "تسريب الوثيقة السرية، نشرها في بيلد، التحقيق والاعتقالات، خطوة بخطوة"، بقلم نتاعيل بندل ومئير تورجمان، ١٧ نوفمبر

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

رحلة مع القرآن

(الحلقة الأولى)

رحيم و مقام كريم لكن إبليس غضب على آدم لأنه بسببه صار مطروداً و عزم أن ينتقم منه فيجمع قوته لإخراج آدم من الجنة التي سكنها مع زوجته حوا ففاز إبليس في تقريب آدم إلى الشجرة التي كان ربه نهاه عن القربة منها - فترى كيف أصبح آدم نادماً على فعله و خجراً ساجداً باكياً تائباً آتياً مقبلاً بقلبه إلى الله و اعترف بظلمه و سأل المغفرة و طلب العفو فغفر له ربه و عفا عنه -

فيأتيها القاريء الكريم! ألا تحس كأنك حين وقع حديث آدم مع ربه و ابليس كنت موجوداً هنالك و انكشف الستار حتى صرت تراه رأي العين فكيف أحسست أيها البار حين رأيت ابليس يراود آدم و زوجته على القربة من الشجرة الممنوعة و كيف أحسست حين رأيت آدم وقع منه خطأ بقربه من الشجرة المشار إليها وهو يبكي على ما فعل و كيف أحسست حين رأيت قبل هذا أن آدم فاق الملائكة بعلمه حتى جعل مسجوداً لهم - ألم يكن الزمان قد دار على حالته الأولى و سرت مسيرة آلاف من السنين فرأيت ما رأيت عياناً ما زاغ البصر و ما طغى فلم تكن قصة آدم خيراً لك بل صارت مشاهدتك -

بارك الله في رحلتك مع القرآن و مشاهدتك قصة آدم و استماعك حديثه مع ربه الكريم في الحلقة الأولى و كن مستعداً للأخرى في قريب من الزمان -

وقفاً أيها القارئ للقرآن ! أعلم أنك تقرأ القرآن كل يوم بكل شوق و رغبة تلاوةً و فهماً ولا شك أن هذا من أكبر حقه أن يُقرأ و يُفهم و يُعمل بما فيه من الأوامر و الأحكام و أدعو الله أن يوفقك مزيداً بما فيه رضاه ' لكن أريد أن أدلك على ما لا خطر ببالك مع قراءتك القرآن مراراً وهو رحلتك مع القرآن -

أعلم أنك أصبحت حيران كيف تكون الرحلة مع القرآن - لا تتعجب لها بل افتح القرآن و ابدأ برحلتك -

القرآن يسير بك إلى الماضي البعيد حيث تجد آدم قد خلق و خلقت زوجته و عُلم الأسماء كلها و هذا من مشيئة الله أن يكون آدم خليفة في الأرض حتى تكون به كلمة الله هي العليا لكن قبل ذلك يريد الله أن يختبر آدم لكي يكون على بينة عند دخوله الأرض نحو مسؤوليته و لذا أمر الملائكة بالسجدة لآدم فسجد كلهم أجمعون إلا ابليس أبى أن يسجد لآدم و كان من الكافرين فطرده ربه و أخرجه من حظيرة القدس رجيماً و مغضباً و ملعوناً إلى يوم يبعثون - و كانت الجنة قد خلقت من قبل مسكناً لآدم و زوجته فيها كل شيء طيب النفس به و ليس فيها شيء من وصب ولا نصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى و هذا هو المكان الذي تشرف آدم فيه بكلام ربه تعالى و تلهذ برؤيته سبحانه و وارتفع بسجده له عز وجل ' يا حبذا رب

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



(شكيل شفائي)

هل يسرق الروبوت مهنة الأخصائي الاجتماعي والنفسي؟

قراءة نقدية في مستقبل المهنة في عصر الذكاء الاصطناعي

مقدمة

تُعاد فيه صياغة المهن الإنسانية وعلى رأسها الخدمة الاجتماعية وعلم النفس. غير أن الممارسة المهنية في هذين المجالين لا تقوم على نقل المعلومات أو تقديم النصائح فحسب وإنما تركز على بناء علاقة إنسانية معقدة قوامها التعاطف والثقة والوعي بالسياق الثقافي والاجتماعي والقدرة على قراءة ما تعجز الكلمات عن قوله فهل تستطيع الخوارزمية أن تفهم الصمت كما يفهمه المعالج؟ وهل يمكن لروبوت أن يمنح مراجعا يشعر باليأس الإحساس ذاته بالأمان الذي تمنحه نظرة إنسان صادق أو كلمة نابغة من تجربة وجدانية حقيقية؟

ينطلق هذا المقال من هذه الإشكالية الجوهرية مستندا إلى أحدث الأدلة العلمية والدراسات المحكمة ليقدم قراءة نقدية متوازنة لمستقبل أو يمجدها بل يسعى إلى الإجابة عن سؤال يبدو بسيطا في ظاهره لكنه يحمل أبعادا علمية وأخلاقية وإنسانية عميقة: هل يسرق الروبوت مهنة الأخصائي الاجتماعي والنفسي أم أن الإنسان لا يزال يمتلك ما لا تستطيع أي خوارزمية أن تتعلمه؟

هل يمكن أن يستبدل الذكاء الاصطناعي الإنسان؟

قبل سنوات قليلة كان الحديث عن روبوت يقدم جلسات دعم نفسي يبدو أقرب إلى الخيال العلمي أما اليوم فقد أصبحت تطبيقات مثل Woebot و Wysa تقدم ملايين المحادثات العلاجية سنويا وأصبحت نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي قادرة على إجراء حوارات طويلة وتقديم اقتراحات نفسية

"شكرا لك... لقد أنقذت حياتي" لم تكن هذه العبارة موجهة إلى طبيب نفسي أو أخصائي اجتماعي، بل إلى برنامج ذكاء اصطناعي على هاتف ذكي قد تبدو هذه الجملة صادمة لكنها أصبحت واقعا يتكرر مع ملايين المستخدمين حول العالم الذين يلجؤون إلى تطبيقات وروبوتات المحادثة طلبا للدعم النفسي والاستماع إلى همومهم والإجابة عن أسئلتهم في وقت تعاني فيه أنظمة الصحة النفسية من نقص المتخصصين وارتفاع الطلب على خدمات الرعاية.

هذا التحول يطرح سؤالا لم يعد ينتمي إلى أدب الخيال العلمي بل أصبح قضية علمية ومهنية وأخلاقية تتصدر النقاشات في الجامعات ومراكز الأبحاث والمؤسسات الصحية: هل يقترب الذكاء الاصطناعي من احتلال مقعد الأخصائي الاجتماعي والنفسي أم أن هناك حدودا إنسانية لا تستطيع الخوارزميات تجاوزها مهما بلغت درجة تطورها؟

لقد أحدث الذكاء الاصطناعي ثورة غير مسبوقة في مختلف القطاعات فهو يشخص الأمراض ويحلل ملايين البيانات في ثوانٍ ويكتب التقارير ويترجم اللغات بل وأصبح قادرا على إجراء حوارات تبدو في كثير من الأحيان شديدة الشبه بالحوار الإنساني ومع هذا التقدم المذهل بدأت تظهر تطبيقات وروبوتات تقدم دعما نفسيا أوليا وتساعد في متابعة المرضى وتقتراح استراتيجيات للتعامل مع القلق والاكتئاب الأمر الذي دفع بعض المراقبين إلى التساؤل عما إذا كانت هذه التقنيات تمثل بداية عصر جديد

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



دكتور/ محمد شرف - مدرس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة الأفروأسيوية

ومحاضر بجامعة سليمان الدولية

والإجابة عن أسئلة معقدة خلال ثوان معدودة وفي المقابل تشير تقديرات منظمة الصحة العالمية إلى وجود نقص عالمي كبير في المتخصصين في الصحة النفسية إذ لا يزال ملايين الأشخاص غير قادرين على الوصول إلى خدمات العلاج والدعم النفسي خاصة في الدول منخفضة ومتوسطة الدخل.

وسط هذا التحول يبرز سؤال يثير قلق العاملين في مجالي الخدمة الاجتماعية وعلم النفس: **هل يقترب الروبوت من احتلال مهنة الأخصائي الاجتماعي والنفسي؟ أم أن الذكاء الاصطناعي مهما بلغت قدراته سيظل مجرد أداة مساعدة لا تستطيع تعويض الإنسان؟** هذا السؤال لا يتعلق بالتكنولوجيا وحدها بل يمس طبيعة الإنسان نفسه فالعلاج النفسي والخدمة الاجتماعية لا يقومان فقط على نقل المعلومات أو تقديم النصائح وإنما يعتمدان على بناء علاقة إنسانية قائمة على الثقة والتعاطف والاحتواء وفهم السياق الثقافي والاجتماعي للمستفيد ومن هنا تنبع أهمية هذا المقال الذي يسعى إلى تحليل هذه القضية من منظور علمي وأخلاقي ومهني.

الأخصائي الاجتماعي والنفسي... أكثر من مجرد مقدم خدمة

رغم وجود اختلافات واضحة بين اختصاصي الخدمة الاجتماعية وعلم النفس فإنهما يشتركان في هدف رئيس يتمثل في تحسين جودة حياة الإنسان ومساعدته على تجاوز الأزمات فالأخصائي النفسي يعمل على تقييم وتشخيص الاضطرابات النفسية وتقديم التدخلات العلاجية المناسبة مثل العلاج المعرفي السلوكي والعلاج العقلاني الانفعالي السلوكي والعلاج الأسري والعلاج النفسي

الديناميكي بينما يركز الأخصائي الاجتماعي على دراسة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية المحيطة بالفرد وتعبئة الموارد والتنسيق بين المؤسسات وتمكين الأفراد والأسر من مواجهة المشكلات وتحسين قدرتهم على التكيف. وتشير الجمعية الوطنية للأخصائيين الاجتماعيين (NASW) إلى أن الممارسة المهنية في الخدمة الاجتماعية تقوم على العدالة الاجتماعية واحترام الكرامة الإنسانية وتمكين الإنسان من استخدام قدراته الذاتية في حين تؤكد الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) أن نجاح التدخل النفسي يعتمد بدرجة كبيرة على قوة العلاقة العلاجية بين المعالج والمراجع وليس على التقنية العلاجية وحدها. ولهذا فإن السؤال لا يتعلق بقدرة الذكاء الاصطناعي على الإجابة عن الأسئلة وإنما بقدرته على أداء جميع الأبعاد الإنسانية التي تتطلبها الممارسة المهنية.

ماذا تقول الدراسات العلمية؟

خلال العقد الأخير شهدت البحوث المتعلقة باستخدام الذكاء الاصطناعي في الصحة النفسية نموا متسارعا إلا أن نتائجها جاءت أكثر توازنا مما يتوقعه البعض ففي مراجعة علمية واسعة نُشرت في مجلة npj Digital Medicine ٢٠٢٣ خلص الباحثون إلى أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تسهم في الكشف المبكر عن الاكتئاب والقلق وتحسين الوصول إلى خدمات الدعم النفسي لكنها لا تزال تعاني من نقص الأدلة المتعلقة بفعاليتها طويلة المدى مقارنة بالعلاج التقليدي.

كما أظهرت دراسة أجرتها جامعة ستانفورد عام ٢٠٢٤ أن النماذج اللغوية

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

أن هذه التطبيقات تحقق أفضل نتائج عندما تعمل بالتكامل مع المتخصصين وليس بدلا منهم.

ومن ناحية أخرى توصلت مراجعة

منهجية نشرت في Frontiers in Psychiatry إلى أن الذكاء الاصطناعي يمتلك إمكانيات واعدة في تحليل البيانات الضخمة والتنبؤ بالمخاطر النفسية لكنه لا يزال يفتقر إلى القدرة على تفسير السياق الاجتماعي والثقافي والأخلاقي الذي يحيط بالحالة الإنسانية.

ولتوضيح الصورة بصورة أكثر دقة يمكن استعراض عدد من الدراسات المحكمة التي تناولت دور الذكاء الاصطناعي في الصحة النفسية والخدمة الاجتماعية خلال السنوات الأخيرة والتي تكشف أن الصورة أكثر تعقيدا من مجرد الحديث عن "استبدال الإنسان بالآلة"

الكبيرة حققت أداء مرتفعاً في بعض مهام تقديم المعلومات النفسية لكنها ارتكبت أخطاء خطيرة في مواقف تتطلب تقديرًا سريريًا معقدًا خاصة في الحالات المرتبطة بخطر الانتحار أو الذهان وهو ما دفع الباحثين إلى التأكيد على ضرورة عدم استخدامها بصورة مستقلة دون إشراف بشري.

وفي تجربة سريرية على تطبيق Woebot نشرت في مجلة JMIR Mental Health أظهر التطبيق قدرة على تقليل أعراض الاكتئاب والقلق لدى بعض المستخدمين خلال فترة قصيرة إلا أن الباحثين أوضحوا أن التطبيق يمثل أداة دعم أولية وليس بديلا عن العلاج النفسي المتخصص أما تطبيق Wysa فقد أشارت عدة دراسات إلى مساهمته في تحسين إدارة الضغوط النفسية والقلق خاصة لدى الأشخاص الذين لا يستطيعون الوصول بسهولة إلى المعالجين مع التأكيد على

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

الدراسة	موضوعها	أبرز النتائج
Inkster et al. (2018) – JMIR Mental Health	تقييم تطبيق Woebot	ساهم التطبيق في خفض أعراض الاكتئاب والقلق لدى بعض المستخدمين خلال أسبوعين لكنه لم يوص به بديلا عن العلاج النفسي التقليدي.
Abd-Alrazaq et al. (2023) – npj Digital Medicine	مراجعة منهجية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في الصحة النفسية	الذكاء الاصطناعي واعد في الكشف المبكر والمتابعة إلا أن جودة الأدلة لا تزال متفاوتة وهناك حاجة إلى دراسات طويلة المدى.
Miner et al. (2019) – npj Digital Medicine	سلامة روبوتات المحادثة النفسية	أظهرت الدراسة أن بعض الروبوتات قد تقدم استجابات غير مناسبة في المواقف عالية الخطورة مما يستلزم إشرافا بشريا دائما.
Blease et al. (2022) – The Lancet Digital Health	الجوانب الأخلاقية لاستخدام الذكاء الاصطناعي	أوصت الدراسة بعدم الاعتماد على الذكاء الاصطناعي منفردا في اتخاذ القرارات العلاجية بسبب مخاطر الخصوصية والتحيز الخوارزمي.
APA Presidential Task Force (2023)	الذكاء الاصطناعي في علم النفس	أوصت الجمعية الأمريكية لعلم النفس باستخدام الذكاء الاصطناعي كأداة مساعدة مع بقاء القرار النهائي في يد الأخصائي.

وتقودنا هذه الدراسات إلى نتيجة مشتركة وهي أن الذكاء الاصطناعي قادر على تحسين بعض جوانب الخدمة لكنه لا يمتلك حتى الآن القدرة على ممارسة العلاج النفسي أو الخدمة الاجتماعية بصورة مستقلة وآمنة.

[بين الخوارزمية والإنسان... أين تكمن قوة الأخصائي؟](#)

إذا كانت أجهزة الحاسوب تستطيع تحليل ملايين البيانات خلال ثوان فلماذا لا تستطيع القيام بعمل الأخصائي؟ الإجابة تكمن في أن الممارسة المهنية لا تعتمد فقط على المعرفة وإنما تعتمد على الحكم السريري (Clinical Judgment) وهو قدرة الإنسان على تفسير المواقف المعقدة التي لا يمكن اختزالها في بيانات رقمية فقد يبكي أحد العملاء أثناء الجلسة لكن دموعه لا تعني دائما الاكتئاب فقد تعبر عن الراحة أو الامتنان أو الخوف أو الصدمة أو حتى الفرح هنا لا يعتمد الأخصائي على الكلمات فقط بل يقرأ نبرة الصوت ولغة الجسد والصمت والتاريخ الأسري والخلفية الثقافي والسياق الاجتماعي وهي أمور يصعب على الخوارزميات إدراكها بصورة متكاملة ولهذا يرى الباحث الأمريكي Bruce Wampold أن نجاح العلاج النفسي يعتمد بدرجة كبيرة على العلاقة العلاجية والثقة والتعاون بين المعالج والعميل أكثر من اعتماده على التقنية العلاجية المستخدمة.

[ماذا يقول الدين عن رعاية الإنسان؟](#)

من اللافت أن المبادئ الإسلامية سبقت كثيرا من النظريات الحديثة في التأكيد على قيمة الرحمة والرفق والكرامة الإنسانية وهي القيم التي

تشكل جوهر الممارسة النفسية والاجتماعية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء: الآية ٧٠) فالآية تؤكد أن الإنسان مكرم لذاته وليس مجرد رقم أو حالة يمكن التعامل معها آليا وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٥٩) وهي إشارة إلى أن اللين والرحمة يمثلان أساس التأثير في الآخرين وهي صفات يصعب برمجتها مهما تطورت الخوارزميات. وقال النبي ﷺ: من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة. (رواه مسلم، رقم ٢٦٩٩) كما قال ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن. (رواه الترمذي، رقم ١٩٢٤) إن هذه النصوص تؤكد أن جوهر المساعدة الإنسانية ليس مجرد تقديم الحلول وإنما المشاركة الوجدانية والرحمة وهما عنصران يصعب اختزالهما في البرمجيات.

[هل يستطيع الروبوت أن يتعاطف حقا؟](#)

يعد التعاطف أحد أكثر المفاهيم دراسة في علم النفس ويقسمه الباحثون عادة إلى نوعين:

أولاً: التعاطف المعرفي (Cognitive Empathy) وهو قدرة الفرد على فهم أفكار ومشاعر الآخر.

ثانياً: التعاطف الوجداني (Affective Empathy) وهو مشاركة الآخر انفعاله والشعور الحقيقي بما يمر به.

وهنا تكمن نقطة الضعف الأساسية في الذكاء الاصطناعي فالروبوت يستطيع محاكاة التعاطف اللغوي فيقول للمستخدم: "أفهم أنك تشعر بالحزن" لكنه لا يشعر بالحزن فعلا، ولا يختبر المشاعر الإنسانية ولا يمتلك

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

وعيا أو ضميرا ولهذا يصف عدد من الباحثين ما يقدمه الذكاء الاصطناعي بأنه تعاطف مُحاكى (Simulated Empathy) وليس تعاطفا إنسانيا حقيقيا ورغم ذلك تشير بعض الدراسات إلى أن هذا التعاطف المحاكي قد يكون مفيدا في بعض المواقف مثل الدعم النفسي الأولي أو متابعة المرضى بين الجلسات أو تشجيع الالتزام بالخطة العلاجية لكنه لا يغني عن العلاقة العلاجية الإنسانية.

هل توجد مخاطر قانونية وأخلاقية؟

كلما توسع استخدام الذكاء الاصطناعي ازدادت الأسئلة الأخلاقية **فمن المسؤول إذا قدم الروبوت نصيحة خاطئة أدت إلى إيذاء المستخدم؟ ومن ضمن سرية البيانات النفسية الحساسة؟ وهل يمكن تدريب الخوارزميات على بيانات متحيزة فنتج قرارات متحيزة ضد فئات معينة؟**

وقد حذرت منظمة الصحة العالمية في تقريرها الصادر عام ٢٠٢١ بشأن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في الصحة من الاعتماد غير المنضبط على الأنظمة الذكية مؤكدة ضرورة وجود إطار قانوني يحمي خصوصية المرضى ويضمن العدالة والشفافية والمساءلة كما أصدرت اليونسكو عام ٢٠٢١ أول توصية عالمية حول أخلاقيات الذكاء الاصطناعي شددت فيها على أن تبقى التكنولوجيا في خدمة الإنسان لا أن تحل محله في القرارات التي تمس كرامته وحقوقه الأساسية وحتى وقت كتابة هذا المقال لم تظهر أدلة علمية تثبت إمكانية استبدال الأخصائي النفسي أو الاجتماعي بالكامل بالذكاء الاصطناعي كما لا توجد سوابق قانونية راسخة تعتبر

الروبوت معالجا مستقلا مسؤولا عن قراراته المهنية.

كيف يحافظ الأخصائي الاجتماعي والنفسي على مكانته في عصر الذكاء الاصطناعي؟

بدلا من النظر إلى الذكاء الاصطناعي باعتباره خصما مهنيا يرى كثير من الباحثين أن التحدي الحقيقي يكمن في مدى قدرة الأخصائي على إعادة تعريف دوره فالتاريخ المهني يبين أن التكنولوجيا لم تُلغ معظم المهن لكنها أعادت تشكيلها وكما لم تُلغ الأجهزة الطبية دور الطبيب ولم تُلغ البرامج المحاسبية دور المحاسب فمن المرجح أن يعيد الذكاء الاصطناعي صياغة أدوار الأخصائي الاجتماعي والنفسي لا أن يقضي عليها.

ولكي يحافظ الأخصائي على مكانته لم يعد كافيا امتلاك المهارات التقليدية فقط بل أصبح من الضروري تطوير مجموعة جديدة من الكفايات المهنية من أهمها:

- **محو الأمية الرقمية (Digital Literacy):** فهم أساسيات الذكاء الاصطناعي وآليات عمله وحدوده والقدرة على تقييم مخرجاته بصورة نقدية .
- **القدرة على توظيف الذكاء الاصطناعي في الممارسة المهنية :** مثل استخدامه في إعداد التقارير وتحليل البيانات واكتشاف عوامل الخطورة وتوثيق الجلسات مع بقاء القرار المهني النهائي بيد الأخصائي .
- **تعزيز مهارات التواصل الإنساني :** فكلما تطورت التكنولوجيا ازدادت قيمة المهارات التي يصعب على الآلة تقليدها مثل

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

التعاطف الحقيقي والإقناع

وبناء الثقة وإدارة الأزمات .

• **الإلمام بالأخلاقيات الرقمية :** بما

يشمل حماية الخصوصية وأمن

البيانات والحصول على الموافقة

المستنيرة والتعامل مع التحيزات

الخوارزمية .

• **العمل ضمن فرق متعددة**

التخصصات : إذ سيصبح

الأخصائي جزءا من منظومة

تضم علماء بيانات ومهندسي

ذكاء اصطناعي وأطباء

وقانونيين بما يضمن تقديم

خدمات أكثر تكاملا .

ومن هنا ظهر مفهوم "الإنسان

داخل الحلقة" (Human-in-the-Loop) "

الذي يُعد أحد أهم النماذج الحديثة في

تطبيقات الذكاء الاصطناعي ويقوم هذا

النموذج على أن تتولى الأنظمة الذكية

جمع المعلومات وتحليلها واقتراح

البدائل بينما يحتفظ الإنسان بسلطة

التقييم النهائي واتخاذ القرار خاصة في

القضايا الحساسة التي تمس الصحة

النفسية والحياة الاجتماعية.

قضايا لا تزال بحاجة إلى نقاش

ورغم التقدم الكبير في هذا

المجال فإن هناك قضايا لم تُحسم بعد

وتستحق مزيدا من البحث العلمي فمن

أبرز هذه القضايا **العدالة في الوصول**

إلى الخدمات النفسية فالذكاء

الاصطناعي قد يسهم في توفير الدعم

للمناطق النائية التي تعاني نقصا في

المتخصصين لكنه في الوقت نفسه قد

يزيد الفجوة الرقمية بين من يمتلكون

التكنولوجيا ومن يفتقرون إليها.

كما تبرز قضية **الاختلافات**

الثقافية فالخوارزميات تُدرب غالبا على

بيانات مأخوذة من مجتمعات غربية وهو

ما قد يجعلها أقل قدرة على فهم

الخصائص الثقافية والدينية والاجتماعية

للمجتمعات العربية مثل طبيعة العلاقات

الأسرية وأسلوب التعبير عن المشاعر

وتأثير الدين في مواجهة الأزمات

النفسية.

وتظل **خصوصية البيانات** من أكثر

التحديات حساسية خاصة أن المعلومات

النفسية والاجتماعية تُعد من أكثر

البيانات خصوصية وأي اختراق أو إساءة

استخدام لها قد يسبب أضرارا نفسية

واجتماعية جسيمة الأمر الذي يستدعي

تشريعات أكثر صرامة لحماية

المستخدمين.

توصيات عملية لصناع القرار

والمؤسسات المهنية

في ضوء الأدلة العلمية الحالية لا

تبدو الحاجة ملحة إلى مقاومة الذكاء

الاصطناعي بقدر الحاجة إلى تنظيم

استخدامه ولذلك يمكن تقديم عدد من

التوصيات العملية:

أولا : إدراج مقررات الذكاء الاصطناعي

وأخلاقياته ضمن برامج إعداد الأخصائيين

الاجتماعيين والنفسيين في الجامعات.

ثانيا : وضع تشريعات واضحة تنظم

استخدام الذكاء الاصطناعي في

الخدمات النفسية والاجتماعية مع تحديد

المسؤولية القانونية عن الأخطاء

المهنية.

ثالثا : إلزام الشركات المطورة لأنظمة

الذكاء الاصطناعي بالشفافية في آليات

عمل الخوارزميات وضمان حماية بيانات

المستخدمين.

رابعا : دعم البحوث العربية التي تدرس

فاعلية تطبيقات الذكاء الاصطناعي في

البيئة العربية نظرا لندرة الدراسات

المحلية مقارنة بالأدبيات الغربية.

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

خامسا: التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي يجب أن يعمل كمساعد مهني لا كبديل عن الأخصائي خاصة في التشخيص واتخاذ القرارات العلاجية الحساسة.

سادسا: تطوير أدلة إرشادية مهنية تصدرها نقابات وهيئات علم النفس والخدمة الاجتماعية تحدد حدود استخدام الذكاء الاصطناعي في الممارسة المهنية.

خاتمة

تكشف الأدلة العلمية المتاحة حتى اليوم أن الحديث عن "استبدال" الأخصائي الاجتماعي والنفسي بالروبوت أو بالذكاء الاصطناعي يحمل قدرا من المبالغة لكنه في الوقت نفسه يعكس تحولا مهنيا لا يمكن تجاهله فقد أصبحت تطبيقات الذكاء الاصطناعي قادرة على إنجاز كثير من المهام التي كانت تستغرق وقتا وجهدا كبيرين مثل تحليل البيانات واكتشاف الأنماط وتقديم الدعم النفسي الأولي والمساعدة في متابعة الحالات وهو ما يجعلها أداة واعدة لتعزيز كفاءة الخدمات النفسية والاجتماعية وتوسيع نطاق الوصول إليها.

ومع ذلك فإن جوهر الممارسة المهنية لا يكمن في جمع المعلومات أو تقديم الإجابات فحسب بل في القدرة على بناء علاقة علاجية قائمة على الثقة وفهم الإنسان في سياقه النفسي والاجتماعي والثقافي وممارسة التعاطف الحقيقي وإصدار الأحكام المهنية

الرشيدة في المواقف المعقدة وهذه أبعاد لا تزال وفق ما تؤكد الأدلة العلمية والخبرة المهنية عصية على المحاكاة الكاملة مهما بلغت تطورات الخوارزميات. إن مستقبل الخدمة الاجتماعية

وعلم النفس لا يبدو صراعا بين الإنسان والآلة بقدر ما هو انتقال إلى نموذج جديد من الممارسة يقوم على التكامل بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي وسيكون الأخصائي الأكثر قدرة على الاستمرار والتميز هو من يوظف هذه التقنيات بوعي ومسؤولية مع الحفاظ على القيم الأخلاقية للمهنة وفي مقدمتها احترام كرامة الإنسان وصون خصوصيته والالتزام بالتعاطف والرحمة والعدالة المهنية.

لقد أثبت التاريخ أن التكنولوجيا لا تلغي الإنسان وإنما تعيد تشكيل أدواره وتدفعه إلى تطوير أدواته ومهاراته وربما لا يكون التحدي الحقيقي في أن يتعلم الروبوت كيف يفكر مثل الإنسان بل في أن يحافظ الإنسان على ما يميزه عن الآلة من ضمير حي وتعاطف صادق وحكمة لا تُستمد من البيانات وحدها بل من التجربة الإنسانية بكل ما تحمله من ألم وأمل.

ويبقى السؤال الذي سيحدد ملامح المستقبل: **هل نحن على أعتاب عصر يجلس فيه الروبوت على كرسي الأخصائي الاجتماعي والنفسي أم أننا سنكتشف في النهاية أن أعظم ما يحتاج إليه الإنسان ليس ذكاء اصطناعيا أكثر تطورا بل إنسانا أكثر فهما ورحمة؟**

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

العقل البشريُّ على خطى الذكاء الاصطناعيِّ

الدوران والتوسّع.

ثم يكبر هؤلاء الأطفال بدورهم، ويصبحون هم أيضًا جزءًا من المجتمع، فيطالبون العلماء بدينٍ يتوافق مع ما استقرّ في عقولهم من تصوّراتٍ مشوّهة، وبصورةٍ تنسجم مع مقاييسهم الفكرية التي تشكّلت بعيدًا عن المنظومة الدينية.

فإذا لم يجدوا في الخطاب الديني ما يوافق أهواءهم وتصوراتهم، بدأ بعضهم في توجيه الاتهامات، وتضخيم الأخطاء، وتحويل الحُبّة إلى قُبّة، وتقديم الحوادث الاستثنائية وكأنّها ظواهر عامة، وإبرازها بصورةٍ مبالغٍ فيها.

وهكذا تتكاثر في البيئة المحيطة النماذجُ والصورُ المنفّرة من الإسلام، ويزداد النفورُ منه في أذهان الأجيال الجديدة، ثم تتسارع وتيرةُ الإلحاد شيئًا فشيئًا، حتى تصبح أسرع وأوسع انتشارًا.

وهذه ليست دعوةً إلى تجاهل أخطاء المسلمين أو تبريرها، وإنما هي تنبيهٌ إلى حقيقةٍ تربويةٍ وفكريةٍ مهمّة: إنّ الصورة التي تتكوّن في ذهن الإنسان عن الدين لا تصنعها الكلمات وحدها، وإنما تصنعها كذلك البيئة والنماذج البشرية التي يراها ويعيش بينها منذ طفولته.

إلا ما شاء الله.

□□□

العقلُ البشريُّ يتشكّل ويتدرّب بطريقةٍ تشبه إلى حدٍّ كبير طريقةَ تدريب الذكاء الاصطناعي؛ فكلّما كثرت النماذجُ والعَيّناتُ التي يتلقّاها العقل، كان ميله واتجاهه أقرب إلى تلك النماذج.

فإذا ظلّ الطفل، منذ نعومة أظفاره إلى أن يبلغ سنّ الشباب، يتلقّى تعليمًا لا صلةً له بالدين، وينشأ في بيئةٍ تعليميةٍ بعيدةٍ عن القيم الدينية، ثم نخّص له ساعةً أو نحوها في اليوم باسم التعليم الديني، فكيف نتوقّع أن تكون النتيجة؟ أليس من الطبيعي أن ينتهي بعض هؤلاء إلى الإلحاد؟

إنّ نقطةَ الانطلاق التي يعتمد عليها عقله في التفكير ستكون في الغالب غير دينية، ومن ثمّ ستتأثر أحكامه وقراراته الفكرية بهذا المرجع الذي تشكّل في ذهنه منذ الصغر.

وهؤلاء هم الذين قد يكبرون ليكونوا مسلمين في الظاهر، لكنهم يحملون أخلاقًا سيئة، وسلوكًا منحرفًا، وفهمًا مضطربًا، وعقليةً عاجزةً عن النظر المتوازن في الأمور.

ثم إنّ هؤلاء، بحكم سلوكهم وأخلاقهم، سيقدمون لمن حولهم صورةً منفّرةً عن الإسلام، فتزداد لدى أطفال البيئة المحيطة بهم النماذجُ السلبية المرتبطة بالإسلام، وتتراكم هذه الصورُ جيلًا بعد جيل، ويستمرّ بذلك المسار في

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



بقلم: الدكتور محمد جيلاني المصباحي.
دهلي الجديدة

كيف سيكون العالم بعد ألف سنة؟

الهواء.

ومن التقنيات التي يمكن أن تساعد على ذلك تقنية الرفع المغناطيسي. ونحن نستخدم مبادئ مشابهة لهذه التقنية اليوم في بعض القطارات الحديثة في اليابان والصين، حيث تتحرك القطارات بسرعة كبيرة مع تقليل الاحتكاك بينها وبين المسار.

وخلال ألف سنة، قد تتطور هذه التكنولوجيا إلى درجة تسمح ببناء مدن كاملة معلقة في الهواء.

أما الأراضي التي ستصبح خالية بسبب انتقال السكان إلى هذه المدن، فقد تعود تدريجياً إلى الطبيعة. وقد تنتشر الغابات والأنهار والحيوانات من جديد، فيعيش الإنسان في المدن المرتفعة، بينما تستعيد الطبيعة مساحات واسعة من الأرض.

وقد لا يقتصر الأمر على السماء، بل يمكن أن تظهر مدن ضخمة تحت سطح البحر أيضاً.

مدن تحت البحر

نشاهد اليوم بعض الفنادق والمرافق المبنية تحت الماء في أماكن مثل دبي والمالديف. لكن في المستقبل البعيد قد تصبح الحياة تحت البحر أكثر انتشاراً.

فقد تُبنى قباب ضخمة في قاع المحيطات، يعيش داخلها ملايين البشر، وتكون هذه المدن مجهزة بكل ما يحتاج إليه الإنسان من مساكن ومرافق ومصادر للطاقة والغذاء.

والأكثر إثارة أن بعض هذه المباني قد تكون قادرة على إصلاح نفسها. ومع تطور تقنية النانو والروبوتات الصغيرة، يمكن أن تعمل روبوتات دقيقة

كيف سيكون العالم بعد ألف سنة من اليوم؟ قد يبدو هذا السؤال سهلاً، لكن الإجابة عنه تحمل الكثير من المفاجآت.

تخيل أن إنساناً عاش قبل مئة سنة فقط عاد إلى عالمنا اليوم. لم تكن الكهرباء منتشرة كما هي الآن، ولم يكن الإنترنت أو الهاتف المحمول أو الطائرات جزءاً من حياته اليومية. وخلال مئة سنة فقط، تغير العالم بصورة هائلة، حتى إن ذلك الإنسان قد يجد عالمنا الحالي أشبه بعالم من الخيال.

فإذا كان العالم قد تغير بهذا الشكل خلال مئة سنة، فكيف سيكون بعد ألف سنة؟

ربما سيكون التغيير أكبر بكثير مما نستطيع أن نتخيل اليوم.

إن مستقبل البشرية بعد ألف سنة قد يبدو لنا أقرب إلى الخيال العلمي، لكن العلماء والمفكرين والمستقبليين يحاولون اليوم رسم صورة محتملة له، اعتماداً على سرعة التطور العلمي والتكنولوجي التي نشهدها في عصرنا. فربما يصبح الدماغ البشري متصلاً مباشرة بأجهزة الكمبيوتر، وربما تطفو المدن في السماء، وربما يتمكن الإنسان من استخدام جزء هائل من طاقة الشمس، وقد يختفي الفرق بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي.

وفيما يلي بعض التطورات التي قد نشهدها في عام ٣٠٢٦.

المدن الطائرة

قد لا تكون المدن في عام ٣٠٢٦ مبنية على سطح الأرض كما هي اليوم. وربما ترتفع بعض المدن فوق السحاب، أو تصبح منفصلة عن الأرض وتطفو في

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



محمد نور الدين الأزهرى
دهلي الجديدة

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

على بناء أجزاء من المباني أو إصلاحها عند حدوث تلف أو تشققات، دون الحاجة إلى تدخل بشري كبير.

اتصال الدماغ بالكمبيوتر

من أكثر التطورات إثارة احتمال أن يصبح دماغ الإنسان متصلاً مباشرة بالكمبيوتر.

قد يفكر الإنسان في أمر ما، فينفذه الجهاز مباشرة، دون لوحة مفاتيح أو شاشة أو صوت.

وقد يصبح تعلم اللغات والمهارات مختلفاً تماماً عما نعرفه اليوم.

فبدلاً من دراسة لغة جديدة لسنوات، قد يتمكن الإنسان مستقبلاً من تحميل معلومات اللغة إلى دماغه بصورة مباشرة.

وربما يستطيع الإنسان أيضاً تعلم مهارات معقدة، مثل العزف على آلة موسيقية أو استخدام بعض الأدوات الطبية، خلال فترة قصيرة جداً.

وقد يصبح من الممكن كذلك تسجيل بعض الذكريات ومشاركتها مع الآخرين.

وفي عالم كهذا، قد يصبح الإنسان متصلاً بشبكة ضخمة تحتوي على قدر هائل من المعرفة، بحيث يستطيع الوصول إلى المعلومات دون الحاجة إلى قراءة الكتب أو البحث التقليدي عنها.

وربما يصل الأمر إلى مرحلة يستطيع فيها شخصان التواصل مباشرة من خلال أفكارهما، دون كلمات أو لغة منطوقة.

الانتصار على الشيخوخة

الشيخوخة اليوم حقيقة لا يستطيع الإنسان الهروب منها، لكنها قد تصبح في المستقبل مشكلة طبية يمكن علاجها أو إبطاؤها بدرجة كبيرة.

وقد بدأت الأبحاث في هذا المجال منذ سنوات. فالعلماء يحاولون فهم أسباب الشيخوخة، وكيف تتضرر الخلايا مع مرور الوقت، وكيف يمكن إصلاح هذه

الأضرار.

وفي المستقبل البعيد، قد تستخدم روبوتات نانوية بالغة الصغر داخل جسم الإنسان لمراقبة الخلايا وإصلاح الأضرار التي تحدث فيها.

فإذا تعرضت خلية للتلف، يمكن لهذه الروبوتات أن تساعد على إصلاحها قبل أن تتفاقم المشكلة.

وقد تصبح أمراض كثيرة مرتبطة بالشيخوخة، مثل بعض أنواع السرطان وأمراض القلب وتلف الأعضاء، أكثر قابلية للعلاج.

كما قد يتمكن العلماء من إنتاج أعضاء بشرية جديدة في المختبر، مثل القلب والكلى وغيرها، ثم استخدامها لاستبدال الأعضاء التالفة.

وفي هذا السيناريو، قد يصبح الموت بسبب الشيخوخة أقل حتمية مما هو عليه اليوم.

لكن هذا التطور سي طرح أسئلة أخلاقية واجتماعية ضخمة.

إذا عاش الإنسان مئات السنين، فكيف ستتعامل البشرية مع زيادة عدد السكان؟

وإذا استمر الناس في الحياة لفترات طويلة جداً، فكيف ستجد الأجيال الجديدة مكاناً لها؟

لذلك فإن إطالة عمر الإنسان قد تكون واحدة من أعظم إنجازات الحضارة، وفي الوقت نفسه واحدة من أكبر تحدياتها.

طاقة الشمس

قد يتمكن الإنسان في عام ٢٠٢٦ من استخدام كمية هائلة من الطاقة الشمسية.

فالشمس تطلق في كل ثانية طاقة ضخمة جداً، بينما لا يستفيد الإنسان اليوم إلا من جزء صغير للغاية منها.

وقد تظهر في المستقبل بنى

الكواكب، أي نوعاً يعيش في أكثر من عالم.

والاستعداد لهذا المستقبل بدأ بالفعل.

فوكالات الفضاء والشركات الخاصة تعمل اليوم على تطوير تقنيات تساعد الإنسان على الوصول إلى القمر والمريخ، وقد يصل البشر إلى المريخ في العقود القادمة إذا استمرت هذه البرامج. أما بعد ألف سنة، فقد يكون المريخ قد تغير بصورة كبيرة.

المريخ اليوم عالم بارد وجاف، تغطيه الصحارى والصخور، لكن الإنسان قد يحاول في المستقبل البعيد تهئية بيئته وجعلها أكثر ملاءمة للحياة.

وتسمى هذه العملية «تهئية الكوكب»، أي تغيير بيئة كوكب ما حتى تصبح أقرب إلى ظروف الأرض.

وقد تشمل هذه العملية تغيير الغلاف الجوي، ورفع درجة الحرارة، وتوفير المياه، وإنشاء بيئات مناسبة للنباتات والحياة.

وهي عملية قد تحتاج إلى مئات أو آلاف السنين.

لكن إذا نجحت البشرية في ذلك، فقد تظهر على المريخ مدن كبيرة يعيش فيها ملايين البشر.

وقد تنتشر المستوطنات البشرية في أكثر من كوكب.

وهذا قد يمنح البشرية مستوى جديداً من الأمان.

فإذا تعرضت الأرض لكارثة كبيرة، فلن تكون البشرية كلها معرضة للفناء، لأن البشر سيكونون موجودين أيضاً في عوالم أخرى.

التحكم في الطقس

قد يصل الإنسان في المستقبل إلى مرحلة يستطيع فيها التأثير بدرجة كبيرة في بعض الظواهر الجوية.

عملاقة تدور حول الشمس وتضم أعداداً هائلة من الألواح الشمسية، بهدف جمع أكبر قدر ممكن من طاقتها.

ويُعرف أحد التصورات المشهورة لهذا النوع من البنى باسم «كرة دايسون»، وهي فكرة لبنية ضخمة تحيط بنجم بهدف الاستفادة من طاقته.

وقد تحتاج مثل هذه البنية إلى كميات هائلة من المواد، وربما إلى موارد تعادل مواد كوكب كامل أو أكثر، بحسب شكلها وطريقة بنائها.

ولو تمكن الإنسان من الوصول إلى هذه الكمية الهائلة من الطاقة، فسوف تتغير إمكاناته بصورة لا يمكن تصورها.

ستقل الحاجة إلى النفط ومصادر الطاقة التقليدية، وقد تصبح الطاقة متوفرة بكميات ضخمة جداً.

ويمكن استخدام هذه الطاقة للسفر لمسافات هائلة في الفضاء، وربما للوصول إلى نجوم أخرى، أو لتغيير بيئات بعض الكواكب.

ولهذا يقيس العلماء أحياناً مستوى تقدم الحضارات بكمية الطاقة التي تستطيع استخدامها والسيطرة عليها، وهو ما يعرف باسم «مقياس كارداشيف».

والبشرية اليوم لا تزال بعيدة عن الوصول إلى حضارة من النوع الثاني، وهي الحضارة التي تستطيع استخدام معظم طاقة نجمها.

لكن ربما يكون عام ٣٠٢٦ خطوة مهمة في هذا الاتجاه.

الحياة على كواكب أخرى في عام ٣٠٢٦ قد لا يعيش الإنسان على الأرض وحدها.

قد تكون هناك مدن ضخمة على المريخ، ومستعمرات على القمر، وربما مستوطنات بشرية على كواكب أو أقمار أخرى.

وقد يصبح الإنسان نوعاً متعدد

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

فقد يصبح من الممكن التحكم في أماكن هطول الأمطار أو توقيتها أو كميتها بدرجة أكبر مما هو ممكن اليوم. وهذه الفكرة ليست جديدة تماماً. فبعض الدول، مثل الصين والإمارات العربية المتحدة، تستخدم تقنيات الاستمطار الصناعي، التي تهدف إلى زيادة فرص هطول الأمطار من السحب الموجودة.

وقد استخدمت الصين في بعض المناسبات تقنيات للتعامل مع السحب والأمطار، ومنها الاستعدادات المرتبطة بدورة الألعاب الأولمبية في بكين عام ٢٠٠٨.

لكن ما نراه اليوم لا يزال محدوداً جداً مقارنة بما يمكن أن تصبح عليه هذه التقنيات بعد مئات السنين.

وقد يتمكن الإنسان مستقبلاً من التحكم في بعض عناصر المناخ بدرجة أكبر، وربما من سحب ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي وتحويله إلى مواد مفيدة.

ويمكن أن تساعد هذه التقنيات على معالجة تغير المناخ، وربما على تعديل بيئات بعض الكواكب الأخرى.

الذكاء الاصطناعي

في عام ٢٠٢٦ قد يكون الذكاء الاصطناعي أكثر ذكاءً وقدرة من الإنسان في مجالات كثيرة.

اليوم تساعد أنظمة الذكاء الاصطناعي الإنسان في الكتابة والبحث والترجمة والتحليل والبرمجة وغيرها من الأعمال.

لكن بعد ألف سنة قد يصبح الذكاء الاصطناعي قادراً على القيام بمعظم الأعمال التي يقوم بها الإنسان اليوم.

وقد تتغير قيمة المال والعمل بصورة جذرية إذا أصبح إنتاج الغذاء والمساكن والملابس والأجهزة وغيرها

من الأشياء سهلاً جداً ورخيصاً. وقد يعيش الإنسان وقتاً أطول في التعلم والإبداع والسفر والاستكشاف، بينما يصبح العمل اختياراً أكثر منه ضرورة للبقاء.

لكن هذا المستقبل يطرح سؤالاً خطيراً:

إذا أصبح الذكاء الاصطناعي أكثر ذكاءً من الإنسان، فهل سيظل الإنسان قادراً على التحكم فيه؟

وهل يستطيع الإنسان والذكاء الاصطناعي أن يعيشا معاً بأمان؟ هذه الأسئلة قد تكون من أهم الأسئلة التي تواجه الحضارة المستقبلية.

العالم الافتراضي

قد يأتي وقت يصبح فيه من الصعب جداً التمييز بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي.

نحن اليوم نستخدم نظارات الواقع الافتراضي للدخول إلى عوالم مصطنعة، لكن التكنولوجيا قد تتطور مستقبلاً إلى درجة تجعل العالم الافتراضي قريباً جداً من الواقع.

وقد يستطيع الإنسان أن يعيش تجارب مختلفة تماماً داخل هذه العوالم. يمكن لشخص أن يعيش في مدينة من مدن روما القديمة، أو يصبح مستكشفاً في مجرة خيالية، أو يصنع عالماً خاصاً به وفقاً لرغباته.

وقد تصبح هذه العوالم واقعية إلى درجة يصعب معها التمييز بينها وبين العالم الحقيقي.

وهنا يظهر سؤال فلسفي مهم: إذا أصبح العالم الافتراضي أفضل من العالم الحقيقي، فما الذي سيجعل الإنسان يختار العالم الحقيقي؟

والأكثر إثارة أن بعض الفلاسفة والعلماء ناقشوا احتمال أن يكون عالمنا

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

نفسه نوعاً من المحاكاة.

وتعرف هذه الفكرة باسم «نظرية المحاكاة».

وتقوم الفكرة، بصورة مبسطة، على أنه إذا استطاعت حضارة متقدمة جداً في المستقبل أن تصنع عالماً افتراضياً لا يمكن تمييزه عن العالم الحقيقي، فقد تستطيع إنشاء أعداد هائلة من هذه العوالم.

وعندها قد يظهر احتمال فلسفي غريب: ماذا لو كان عالمنا واحداً من هذه العوالم؟

وقد يكون إنسان عام ٣٠٢٦ نفسه يعيش داخل محاكاة، بينما يقوم هو أيضاً بإنشاء محاكاة أخرى داخلها.

عالم داخل عالم، ثم عالم آخر داخل ذلك العالم.

وفي هذه الحالة سيبقى السؤال: أين ينتهي الحقيقي وأين يبدأ الافتراضي؟

ربما لا نعرف الإجابة أبداً.

هل سيظل الإنسان إنساناً؟

بعد كل هذه التطورات، يظهر

السؤال الأكبر:

إذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة من التقدم، فهل سيظل إنساناً بالمعنى الذي نعرفه اليوم؟

تخيل كائناً لا يشيخ، وربما لا يموت بسبب الشيخوخة، ودماغه متصل بالكمبيوتر، ويعيش على عدة كواكب، ويستطيع التأثير في الطقس، ويستخدم طاقة نجمه، ولا يستطيع أحياناً التمييز بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي.

هل سنظل نسمي هذا الكائن «إنساناً»؟

أم أنه سيكون قد أصبح شيئاً جديداً؟ هذا السؤال يشغل اليوم كثيراً من

الفلاسفة والعلماء والمفكرين.

وربما يكون إنسان عام ٣٠٢٦ بالنسبة إلينا مثلما يبدو إنسان عصرنا لإنسان عاش قبل ألف سنة.

لكن الفرق أن التغيير في المستقبل قد لا يكون في الأدوات والبيئة فقط، بل قد يصل إلى جسم الإنسان وعقله وطريقة تفكيره، وربما إلى مفهومه عن نفسه.

قد يتغير جسمنا، وقد يتغير دماغنا،

وربما تتغير طبيعتنا الإنسانية نفسها.

وقد يصبح الإنسان الذي نعرفه

اليوم مجرد مرحلة قديمة في تاريخ

طويل من تطور البشرية.

ومع ذلك، قد يبقى شيء واحد لا

يتغير.

إنه فضول الإنسان، وحبه للمعرفة،

وعاداته في طرح الأسئلة.

فمهما تقدمنا، ومهما استطعنا

استخدام طاقة الشمس، ومهما حاولنا

التغلب على الشيخوخة والموت، سنظل

نسأل:

من نحن؟

من أين جئنا؟

وإلى أين نذهب؟

هذه الرغبة في المعرفة هي واحدة

من أهم صفات الإنسان.

وربما تكون هي الشيء الذي

سيجعلنا بشراً، مهما تغير العالم من

حولنا.

فالمستقبل قد يكون مختلفاً تماماً

عما نتصوره اليوم، لكن ما دام الإنسان

لا يتوقف عن السؤال والبحث

والاكتشاف، فسيظل يحمل أهم ما

يميزه: العقل الفضولي الذي يريد دائماً

أن يعرف أكثر.

وربما تكون هذه هي أعظم رحلة

في تاريخ البشرية: رحلة الإنسان من

معرفة العالم إلى محاولة فهم نفسه.

القنبلة الصامتة، الذكاء الاصطناعي وتفكيك العقل البشري

من العبودية الرقمية إلى سلاح في خدمة رأس المال واليمين المتطرف أم أداة للتحرر؟

الذكاء الاصطناعي إلى سلاح دمار شامل إذا استمر تطويره ونشره بهذا التسارع المفرط ومن دون ضوابط كافية.

ولم تعد هذه المخاوف تصدر عن النقاد وحدهم، ففي مناسبات مختلفة، ومنها ما كشفته مجلة [TIME](#) [٣] من خروج أحد أنظمة الذكاء الاصطناعي عن السيطرة وهجومه على أنظمة أخرى، وبعدها بأيام وقع ما يقارب ١٤٠٠ مهندس ومهندسة في شركات الذكاء الاصطناعي الكبرى [عريضة مشتركة](#) [٤] تطالب بتطوير أدوات تقنية وآليات حوكمة دولية لضبط وتيرة تطوره. ولم تكن هذه العريضة حالة معزولة، إذ تتوالى تحذيرات الباحثين والباحثات في هذا الحقل من أن التطوير المتسارع قد ينفلت من أي سيطرة بشرية.

فقد حذر [التقرير الدولي لسلامة الذكاء الاصطناعي](#) [٤]، الذي أعده أكثر من مئة خبير وخبيرة بدعم من أكثر من ثلاثين دولة ومنظمة دولية، من أن النماذج باتت تميز بين بيئة الاختبار والاستخدام الواقعي وتلتف على آليات التقييم، بما يسمح لقدرات خطيرة بأن تمر من دون أن تكتشف، ومن أن وكلاء الذكاء الاصطناعي يرفعون منسوب الخطر لأنهم يتصرفون بشكل مستقل يصعب معه تدخل البشر قبل وقوع الضرر، وهناك مخاطر كبيرة في أن تطور أنظمة الذكاء الاصطناعي نفسها بنفسها وتخرج عن السيطرة، ويكون لها في إدارة البشر والتحكم بهم دور أكبر مما

الوجه الصاخب والوجه الصامت لخطر واحد

ما نشهده اليوم ليس هيمنة روبوتات على البشر كما تخيلتها السينما في أفلام كثيرة، وإنما نموذج آخر من السيطرة الرقمية، قائم على الأتمتة وتوظيف الذكاء الاصطناعي والخوارزميات في إدارة جوانب كبيرة ومتزايدة من الحياة اليومية، حيث تصبح المجتمعات أكثر خضوعاً لأنظمة وشركات وآلات ذكية. لكن فقدان السيطرة على هذه الأنظمة ليس سوى الوجه الصاخب لهذا الخطر، فهو يتطور بشكل سريع نتيجة المنافسة بين الدول الكبرى والشركات الرأسمالية الاحتكارية، بحيث يتعذر على القوانين والمجتمع والهيئات التعليمية مواكبته. وهنا يكمن جوهر المسألة، فالخطر لا يقف عند احتمال خروج هذه الأنظمة عن السيطرة، ذلك أن تطويرها يجري داخل علاقات ملكية ومنافسة رأسمالية شرسة تجعل هذا الخروج أرجح وتضاعف كلفته على الناس. أما وجهه الأخطر فأهدأ بكثير، إذ يسهم الذكاء الاصطناعي، في ظل البنية الرأسمالية التي تطوره وتوجه استخداماته، في تشكيل وعي مليارات البشر وتوجيه انتباههم وسلوكهم بما يخدم [منطق النموذج الرأسمالي](#) [١]. كما أن المنافسة بين الاحتكارات الرأسمالية الرقمية والدول الكبرى، في غياب قيود وقوانين فعالة، من الممكن أن تلحق أفدح الأضرار بالعقل البشري، وقد تحول

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ
سبتمبر ٢٠٢٦ م



بقلم: زركار عقراوي (العراق)

من اصل عراقي يعيش في كوبنهاغن، دنمارك. - rezgar1@yahoo.com

هو مخطط له. ووقع عشرات الآلاف، ومن بينهم كبار علماء هذا المجال، [بياناً دولياً](#) ^[٥] يطالب بحظر تطوير «الذكاء الخارق» إلى حين توافر إجماع علمي على إمكانية إنجازه بأمان وتحت السيطرة، وقبول مجتمعي واسع به، فيما [استقال باحثون](#) ^[٦] من شركات رقمية كبرى احتجاجاً على مسار تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي وأولوياته.

ولا ينكر أحد ما يقدمه الذكاء الاصطناعي من إمكانيات هائلة، فهو يختصر سنوات من البحث في اكتشاف الأدوية، ويفك بنية البروتينات التي استعصت على العلماء عقوداً، ويرفع دقة تشخيص الأمراض ويتيح كشفها في مراحل مبكرة تنقذ حياة الناس، ويحاكي تغيرات المناخ ويحذر من كوارثها قبل وقوعها، ويكسر الحواجز اللغوية بالترجمة فيضع المعرفة في متناول من حرموا منها طويلاً، ويسهل حياتهم اليومية والمهنية، ويفتح أبواباً لخدمات كثيرة قد تحل إشكالات عويصة تواجه البشرية. وهذه المكاسب ذاتها هي ما يجعل السؤال أشد إلحاحاً، فالمقال لا يجادل في هذه القدرات، إنما في من يملكها ومن يوجهها ولمصلحة من تعمل وكيف توظف.

وقبل المضي في التحليل، من الضروري التمييز بين ثلاث طبقات يجري الخلط بينها عادة. الأولى «خوارزميات الترتيب والتوصية» التي تقرر ما يظهر أمامنا وما يحجب عنا. والثانية «المنصات الرقمية» ونموذج أعمالها القائم على اقتصاد الانتباه، أي تحويل وقت المستخدمين والمستخدمات وبياناتهم إلى ربح. والثالثة «أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي» التي تنوب عن الإنسان في الكتابة والتحليل واتخاذ

القرار. ولكل طبقة آلياتها وآثارها التي تختلف عن الأخرى، غير أن الطبقات الثلاث تتشابك اليوم في يد الشركات الاحتكارية الرأسمالية ذاتها، وتخضع لمنطق تراكم واحد. ويزيد من تشابكها أن الذكاء الاصطناعي بات يدير الثلاث معاً، فخوارزميات الترتيب والتوصية صارت نماذج ذكاء اصطناعي، ونموذج أعمال المنصات يدار به في استهداف المستخدمين والمستخدمات وقياس سلوكهم والتنبؤ به، والأدوات التوليدية هي الذكاء الاصطناعي نفسه. ولهذا أراها مترابطة إلى حد بعيد، ويصير الفصل بينها تحليلياً أكثر منه واقعياً، وهذا ما يجعل قراءتها معاً ضرورة معرفية.

توجيه الوعي لتعزيز الثقافة الرأسمالية النيوليبرالية

إلى جانب استخدام الذكاء الاصطناعي لتعزيز الأرباح وترسيخ السيطرة الاقتصادية والسياسية والقمع الرقمي، تُوظف هذه التكنولوجيا منهجياً لتشكيل وعي الأفراد وتوجيهه، بهدف تعزيز الثقافة الرأسمالية والقيم النيوليبرالية، فمن خلال تحليل البيانات وسلوك المستخدمين والمستخدمات، تتحكم خوارزميات الترتيب والتوصية في المحتوى المعروض عبر المنصات، وتُصمَّم لتغذية الأفراد بما يخدم الرؤية الرأسمالية وسياساتها.

وقد بات هذا الاتجاه راسخاً مع توسع هذه المنصات، فوفقاً لما ورد في [تقرير الاتحاد الدولي للاتصالات](#) ^[٧]، بات نحو ثلاثة أرباع سكان العالم مستخدمين للإنترنت، بزيادة تفوق ٢٤٠ مليون مستخدم خلال عام واحد. ويعود هذا التوسع جزئياً إلى سعي [الشركات الاحتكارية والدول الكبرى لإيصال الإنترنت إلى كل بقاع العالم، وخاصة دول](#)

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

الجنوب ^[8]، حتى في مناطق تفتقر إلى الماء النقي والكهرباء والخدمات الأساسية، لأن أولوية الاستثمار تتجه إلى ما يوسع السوق قبل ما يسد حاجات الناس، بهدف تعظيم الأرباح وتعزيز الهيمنة واستعمارها رقمياً. ولا يعني هذا بالضرورة أن كل هؤلاء المستخدمين والمستخدمات واقعون بالدرجة نفسها تحت تأثير تطبيقات الذكاء الاصطناعي، لكنه يوسع القاعدة المادية التي تعمل عليها هذه المنظومة.

تدفع بنية الملكية الرأسمالية ونماذج الربح الخوارزميات إلى إعطاء الأولوية للمحتوى الذي يخدم مصالح السوق والشركات الاحتكارية، فتتحول الخوارزميات إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة الثقافية للرأسمالية. ومن خلال هذه الآلية، يجري توجيه الوعي الجماعي تدريجياً نحو تقبل هذه القيم بوصفها طبيعية وحتمية، بأسلوب ناعم وتدرجي وغير محسوس، إلى حد أن معظم مستخدمي ومستخدمات هذه التطبيقات، بمن فيهم قطاعات من أصحاب الفكر اليساري، ينظرون إليها باعتبارها أدوات محايدة. وبهذا تسهم هذه المنظومة في تكريس الهيمنة الرأسمالية، وتعزيز خضوع الجماهير للنظام القائم، وتهميش البدائل اليسارية والتقدمية، بما قد يهدد وعي الأجيال القادمة وقدرتها على التفكير النقدي والتنظيم من أجل التغيير.

تفكيك المهارات البشرية والإدمان الرقمي وتعميق الاغتراب

وهذا التهديد يمتد أيضاً إلى تفكيك ملكات الفرد الذهنية، وهنا تنتقل المسألة من طبقة الخوارزميات التي توجه ما نراه إلى طبقة أدوات الذكاء

الاصطناعي التي تنوب عنا في التفكير ذاته. فرغم الترويج للذكاء الاصطناعي على أنه وسيلة لتسهيل الحياة وزيادة الإنتاجية، تشير دراسات علمية إلى أن الاعتماد غير المدروس عليه يرتبط بتعميق الوعي السطحي وإضعاف المهارات البشرية. فبحسب [دراسة أجراها باحثون في معهد ماساتشوستس](#) ^[9]، يقلل الاعتماد على أدوات الكتابة بالذكاء الاصطناعي النشاط الدماغي، ويضعف الذاكرة والإحساس بملكية الأفكار، وأطلق الباحثون على هذه الظاهرة اسم «الدين المعرفي»، أي أن الإنسان يقترض قدرته الذهنية من المستقبل مقابل راحة اللحظة.

وفي السياق ذاته، وجدت [دراسة نُشرت في مجلة Societies](#) ^[10] أن الاستخدام المتكرر لأدوات الذكاء الاصطناعي يرتبط بضعف في التفكير النقدي عبر آلية «التفريغ المعرفي»، أي إحالة مهام التذكر والتحليل إلى الأجهزة بدل القيام بها ذهنياً، وخاصة بين الشباب، أي من الممكن أن ينشأ الجيل الجديد أقل قدرة على التحليل المستقل. وأشارت [دراسة أجراها باحثون في جامعة كاليفورنيا](#) ^[11]، اعتماداً على بيانات أكثر من ستة آلاف طفل ضمن مشروع لتطور دماغ المراهقين، إلى أن الأطفال الأكثر استخداماً لوسائل التواصل الاجتماعي يسجلون تراجعاً واضحاً في القراءة والمفردات والذاكرة كلما طالت مدة تصفحهم. والدراسة تخص وسائل التواصل تحديداً، غير أن الآلية التي ترصدها، أي إحالة الجهد الذهني إلى الشاشة، هي ذاتها التي تشتغل في أدوات الذكاء الاصطناعي بصورة أعمق، لأنها تتولى مهمة التفكير نفسها. ولا يقتصر الأمر على المختبرات، فقد

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

جاءت [نتائج البرنامج الدولي لتقييم](#)

[الطلبة \(بيسا\)](#) ^[١٣] المنشورة في الثامن

من سبتمبر ٢٠٢٦ لتنقل المشهد إلى

مستوى أنظمة تعليمية بأكملها. ففي

الدنمارك سجل طلبة المدارس أسوأ

نتائجهم على الإطلاق، بتراجع في

التحصيل الدراسي يعادل سنة دراسية

كاملة ضائعة، ووصفته الحكومة بأنه أزمة

تعليمية خطيرة يفوق حجمها كل ما كان

متوقعا، وجاء هذا التراجع متزامنا مع

توسع كبير في استخدام الأجهزة

الرقمية والذكاء الاصطناعي داخل

الصفوف، وإن كانت العلاقة السببية أعقد

من أن تُختزل بعامل واحد. والصورة ذاتها

تتكرر في ٤٣ دولة تراجع فيها التحصيل

الدراسي بشكل كبير، وتجد [منظمة](#)

[التعاون الاقتصادي والتنمية](#) ^[١٤] ارتباطا

بين هذا الانحدار وازدياد وقت الشاشات

واستخدام الذكاء الاصطناعي وتراجع

القراءة الحرة، محذرة من أن أشد ما فيه

خطورة تراجع المهارات الأكثر أهمية في

عصر الذكاء الاصطناعي نفسه، أي تقييم

المعلومات والربط بين مصادر متعددة

والتحليل والتفكير النقدي.

وهذا التراجع ليس أثرا جانبيا عارضا،

فخلفه الطبقة الثانية، أي نموذج ربح

المنصات القائم على الإدمان الرقمي.

فالمنصات والتطبيقات الرقمية

المدعومة بالذكاء الاصطناعي ليست

مجرد خدمات مجانية حبا بالمستخدمين

والمستخدمات، وإنما أدوات تُستخدم

بوعي لتعزيز التبعية السلوكية والفكرية،

حيث تُستغل البيانات الضخمة لفهم

دوافع الأفراد والتلاعب بها بما يخدم

مصالح الشركات والدول الكبرى.

وتستثمر الرأسمالية في تقنيات تُحَقِّز

السلوك الإدماني بطرق مختلفة لضمان

التفاعل مع المنصات، فتتحول هذه

العملية إلى حلقة مفرغة تُؤدِّد الأرباح

على حساب الصحة النفسية والمستوى

التعليمي، وخاصة لدى الأجيال الشابة.

وعلى هذا الأساس، يعاد إنتاج

الاغتراب الإنساني رقميا، حيث ينفصل

الإنسان عن ملكاته العقلية والإبداعية،

ويجد نفسه محاصرا ضمن منظومة تقنية

تسلبه قدرته على الفعل والتفكير

المستقل، كما كان العامل مغتربا عن

منتوجه في الرأسمالية. وقد يتحول

تدريجيا إلى كائن خاضع للخوارزميات

التي توجه تفاعلاته اليومية، وتحدد له

ما يقرأ ويشاهد وكيف يفكر وكيف

يكتب ويتواصل، مما قد يعزز تبعيته

لأنظمة وشركات ودول يسيطر عليها

رأس المال وقوى الاستغلال والاستبداد.

نوع من العبودية الرقمية الطوعية

وفقدان السيطرة

فإذا كان الإدمان الرقمي يفسر

كيف يُستدرج الإنسان إلى هذه

المنظومة، يبقى السؤال الأصعب: لماذا

يقبلها وهو يشعر أنه يختار بحرية؟ وهذا

الاستغلال النفسي ليس سوى مظهر

لهيمنة طبقية تتعمق كلما تحول الذكاء

الاصطناعي من أداة تكنولوجية إلى

وسيلة لإعادة إنتاج أنماط السيطرة

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

والفكرية في ظل النظام الرأسمالي.

وما يجعل هذه السيطرة أكثر خطورة هو

طابعها الطوعي، حيث يُدفع الأفراد،

بفعل التلاعب الخوارزمي وضغط

استخدام الذكاء الاصطناعي في العمل

والحياة اليومية، إلى الانخراط في هذه

«[العبودية الرقمية](#)» ^[١٤] من دون إكراه،

بوهم التحكم والاختيار بينما تُوجَّه

قراراتهم نحو مسارات مُعدَّة سلفا تخدم

الرأسمالية وتضعف قدراتهم العقلية

والفكرية والمهنية.

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

ومحلية فعالة تنظم عمله، ومع تجاوزه حدوده البرمجية، قد يتحول إلى منظومة تتخذ قرارات مصيرية مستقلة، تُفرض على البشرية من دون رقابة بشرية حقيقية. ففي ظل الرأسمالية، يُطوّر الذكاء الاصطناعي لخدمة تراكم رأس المال، ولمنطق المنافسة والهيمنة، مما يجعل فقدان السيطرة عليه احتمالا حقيقيا وخطيرا، وقد يكون مدمرا. والسبب واحد في الحالتين، فغياب الملكية الجماعية والرقابة الجماهيرية الديمقراطية هو ما يجعل الفرد يفقد السيطرة على وعيه وقراره، وهو نفسه ما يجعل البشرية تفقد السيطرة على أخطر أداة صنعتها. فالعبودية الرقمية الطوعية وفقدان السيطرة وجهان لغياب واحد.

الذكاء الاصطناعي قد يتحول إلى سلاح دمار شامل

ولا تقل هذه الخطورة عن أي من الأشكال السابقة لخدمة رأس المال، ذلك أن التسابق المحموم بين الأقطاب الرأسمالية والدول الكبرى على السيطرة على الذكاء الاصطناعي، في غياب قواعد وتشريعات دولية ومحلية صارمة، يحمل بذور فقدان السيطرة وتحوله إلى أداة دمار شامل تهدد مستقبل العقل البشري، لا أجساد البشر وممتلكاتهم فقط.

وعلى المستوى العسكري، يتجسد هذا التسابق في [سياق تسليح فعلي](#)^[١٥] يشمل الأسلحة ذاتية القرار، والطائرات المسييرة المستقلة، والروبوتات القتالية، وأنظمة الاستهداف واتخاذ القرارات العسكرية في القتل والتدمير. ويحذر باحثون من احتمال انهيار هذه المنظومات عندما تنتقل من بيئة الاختبار إلى ظروف الحرب الواقعية، بما قد يؤدي إلى أخطاء وقرارات غير متوقعة وكوارث

ويجري الترويج لهذا الانخراط بوصفه حرية فردية، فمن يستخدم هذه التطبيقات يفعل ذلك باختياره، ومن لا يعجبه الأمر فليغلق هاتفه. وعلى هذا الأساس يرفض الكثير من منظري الليبرالية الجديدة أي تدخل في السوق الرقمية وتعدده وصاية على الأفراد ومصادرة لخياراتهم الشخصية. غير أن الحرية التي لا يملك صاحبها شروطها ليست حرية، فالفرد لم يختر الخوارزمية التي ترتب ما يراه، ولم يشارك في تصميم التطبيق الذي يفرضه عليه عمله ومدرسة أولاده ومصرفه ودوائر الدولة، ولم يستفت في نموذج الربح الذي يحول انتباهه ووقته وسلوكه إلى سلعة مربحة. إنها حرية الاختيار بين ما وضعه رأس المال أمامه، لا حرية تقرير ما يوضع أمامه أصلا. وهنا يفترق الموقف اليساري عن الليبرالي، فالمسألة ليست حماية الفرد من نفسه، إنما انتزاع القرار في البنية الرقمية من يد من يملكها، وإخضاع تصميم الخوارزميات ومصادر البيانات ونماذج الربح لسلطة المجتمع ورقابته الديمقراطية. فالحرية الفعلية تبدأ حين يملك الناس شروط حياتهم جماعيا، لا حين يخيرون فرادى بين بدائل صنعت من دونهم.

وما يجري على مستوى الفرد يتكرر على مستوى البشرية كلها. فحين يتنازل الإنسان يوما بعد يوم عن قراراته الصغيرة للخوارزميات، وهو يظن أنه حر ويختار، تتنازل المجتمعات بالتوازي عن قراراتها الكبرى لمنظومات رقمية لا تخضع لرقابتها ولا تعرف كيف تشتغل. وهكذا لم يعد خضوع البشرية لسيطرة الآلة مجرد افتراضات فلسفية، إذ أصبح أكثر واقعية في ظل تطورات الذكاء الاصطناعي وغياب ضوابط قانونية دولية

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

لمنطق الربح والمنافسة والاحتكار والسيطرة. فالذكاء الاصطناعي قد يهدد قدرة الإنسان على الفهم والاختيار والتحليل والتقرير، ويجعلها رهينة منظومات بنيت أساسا لخدمة المنافسة الجيوسياسية والربح وليس لخدمة الإنسان. ولهذا وقع مئات من كبار الباحثين في الذكاء الاصطناعي، من بينهم من ساهموا في بنائه، على [بيان مقتضب](#)^[١٦] يعتبر أن «الحد من مخاطر الانقراض الناجمة عن الذكاء الاصطناعي أولوية عالمية ينبغي أن تحظى بالمكانة نفسها التي تحظى بها مخاطر كبرى أخرى كالجوائح والحرب النووية».

فحين تتحول التكنولوجيا الأخطر في تاريخ البشرية إلى ورقة في يد التنافس الجيوسياسي والعسكري الرأسمالي بين الأقطاب الكبرى، من دون كوابح قانونية واجتماعية وديمقراطية حقيقية، فإن خطر فقدان السيطرة لا يعود تهديدا للوعي الفردي وحده، وإنما يصبح تهديدا لمستقبل المجتمع والإنسانية بأكملها.

الشركات الرقمية والذكاء الاصطناعي في خدمة اليمين المتطرف

لا يتوقف توظيف الذكاء الاصطناعي عند حدود خدمة رأس المال بمعناه الاقتصادي والثقافي العام، فهو يمتد إلى تحالف مباشر ومتصاعد بين كبرى الشركات الرقمية واليمين المتطرف والمشاريع العسكرية والقمعية حول العالم. ومن أوضح تجليات هذا التحالف البيان الذي نشرته شركة بالانثير تكنولوجيز في أبريل ٢٠٢٦، والذي كتبت عنه في مقال سابق بوصفه تعبيراً عن «فاشية رقمية»، إذ يدعو صراحة إلى تركيز السلطة في يد أوليغارشية مالية وتقنية ترى في

واسعة النطاق. وهذا الخطر ليس افتراضيا، فقد خرجت أنظمة ذكاء اصطناعي عن السيطرة في حالات معلنة وموثقة، ومنها سقوط أعداد كبيرة من المدنيين بأسلحة توجهها أنظمة ذكاء اصطناعي، وهو ما نعود إليه لاحقا، ومن الممكن أن تكون هناك حالات أخرى لم يعلن عنها.

غير أن الدمار الذي قد ينتج عن الذكاء الاصطناعي لا يقف عند حدود الحرب والعمليات العسكرية، فله مستوى آخر أهدأ صوتا وأبعد أثرا. فالسلاح النووي ارتبط باستخدام عسكري مباشر ومكشوف نسيبا وخاضع لحسابات واتفاقيات دولية معلنة، وبقي خطره محصورا في لحظة الانفجار وما يليها.

أما على مستوى الوعي، فالذكاء الاصطناعي يعمل بصمت ويتسلل إلى تفاصيل الحياة اليومية، إلى التعليم والعمل والإعلام والخدمات ومعظم مفاصل المجتمع، فيضعف المهارات البشرية، ويعمق الاعتماد على الأنظمة الرقمية، ويتراجع معه التفكير النقدي والاستقلال المعرفي، وتتوسع المراقبة والتلاعب بالسلوك. وهنا يصير الدمار أقل صخبا وأوسع انتشارا، وتصبح العبودية الرقمية ذاتها شكلا من أشكال أسلحة الدمار الشامل، لأنها لا تقتل الإنسان دفعة واحدة، وإنما تعيد تشكيل وعيه وقدراته وعلاقاته يوما بعد يوم. فالمستويان وجهان لسلح واحد، أحدهما يدمر الأجساد في لحظة، والآخر يفكك العقول على مهل.

وبالنظر إلى المستويين معا، لا يكمن الخطر فقط في إنتاج أسلحة أكثر فتكا، وإنما أيضا في إعادة تشكيل الإنسان والمجتمع عندما يكون تطوير الذكاء الاصطناعي وتوظيفه خاضعا

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

الديمقراطية الليبرالية عائقا أمام هيمنتها، وإلى تجنيد مهندسي وادي السيليكون أخلاقيا في خدمة آلة الحرب والأمن. ويقف خلف هذا المشروع بيتر ثيل، المؤسس المشارك لبلانتيير وأحد أبرز ممولي دونالد ترامب وجي دي فانس، وهو منظر تيار «التسارعية»^[١٧]، أي الدعوة إلى إطلاق التطور التقني من كل قيد مهما بلغت كلفته الاجتماعية.

وعلى الأرض، لا يبقى هذا التحالف حبيس الخطاب، فقد وقعت بالانتيير، وفقا لما أعلنته الشركة نفسها، [شراكة استراتيجية](#) ^[١٨] مع «وزارة الدفاع الإسرائيلية» لتزويدها بأدوات «قتالية» بالذكاء الاصطناعي، إلى جانب [مشروع نيموس](#) ^[١٩] الذي تديره غوغل وأمازون، وأنظمة [استهداف خوارزمية مثل لافندر والإنجيل](#) ^[٢٠]، التي كشفت عنها تحقيقات صحفية وحولت القتل الجماعي في غزة إلى عملية حوسبة باردة تختصر حياة المدنيين إلى بيانات. وفي الولايات المتحدة نفسها، وبحسب ما وثقته منظمات حقوقية أمريكية، تزود بالانتيير عبر منظومة [ImmigrationOS](#) ^[٢١] إدارة الهجرة والجمارك بيانات تسرع حملات الترحيل القسري وتتبع النشاط والمحتجين، وهو ما دفع [منظمتي العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش](#) ^[٢٢] إلى إدانة تلك الشركات صراحة. هكذا يتحول القمع الرقمي، من أداة لضبط الوعي بأسلوب ناعم، إلى شريك فعلي في القتل والاعتقال والترحيل.

وعلى الصعيد الدولي، يقدم إيلون ماسك، مالك منصة إكس، النموذج الأوضح لتوظيف شركة رقمية مباشرة في خدمة اليمين المتطرف. فقد قدم دعما كبيرا من خلال منصته إكس لقوى اليمين العنصري المتطرف في العالم،

وآخرها انتخابات ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانية في سبتمبر ٢٠٢٦، ويتدخل بشكل فاعل في الانتخابات البرازيلية الآن، وقد وثقت [دراسة لباحثي ألغوريتيم ووتش](#) ^[٢٣] كيف تحولت منصة إكس، بفعل ملكية ماسك ونفوذه المباشر عليها، إلى مضخم رئيسي لصوته وخطابه الداعم لليمين المتطرف في العالم. بهذا يكتمل مشهد الخوارزميات والذكاء الاصطناعي في خدمة رأس المال واليمين المتطرف معا: من التوجيه الناعم للوعي إلى التحالف العلني مع أعتى المشاريع العسكرية والقومية والعنصرية في العالم اليوم.

الذكاء الاصطناعي ساحة صراع طبقي ومعرفي

ورغم كل ما تقدم، من الخطأ السقوط في «حتمية» تكنولوجيا معكوسة» تجعل من الخوارزميات فاعلا مستقلا يصنع الوعي صناعة مباشرة، وكأن الرأسمالية تلد التقنية والتقنية تلد وعيا واحدا في خط مستقيم. فالذكاء الاصطناعي ليس كيانا متجانسا في يد رأس المال وحده، فهو أيضا ساحة صراع طبقي ومعرفي مفتوح. ففي الوقت الذي توظفه فيه بعض الشركات الرأسمالية الرقمية والدول في تعزيز الأرباح والقمع والاستهداف والقتل، يستخدمه باحثون وباحثات في علوم المناخ لمحاكاة التغيرات البيئية والتحذير من كوارثها، ويستخدمه الأطباء والطبيبات في علاج الأمراض، ويستعين به ناشطون وناشطات في ترجمة المحتوى الحقوقي وإيصال صوت الضحايا، وتستخدمه قوى اليسار ونقابات وحركات عمالية في تطوير النضال.

ولهذا التمييز سند تجريبي، فالأدلة ذاتها التي ترصد الضرر ترصد النفع حين

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

تتغير الشروط، في [التعليم الجامعي](#) [٢٤] وفي [المدارس](#) [٢٥] وفي [مواقع العمل](#) [٢٦]، حيث يرتفع التحصيل وترتفع الإنتاجية حين يصمم النظام ليجعل المستخدم يشتغل بدل أن ينوب عنه، وحين يبقى الإشراف البشري والمجتمعي قائما على العملية. وهذان الشرطان قرار اجتماعي، فمن يملك ويقرر هو من يحددهما. ويبقى السؤال الأهم: من المستفيد من هذه المكاسب؟ فارتفاع الإنتاجية يعني زيادة في فائض القيمة المنتزع من عمل شغيلات وشغيلة اليد والفكر، والذكاء الاصطناعي لا يلغي الاستغلال هنا، إنما يكثفه ويعمقه، لأنه ينتج القيمة ذاتها بعمل أقل ووقت أقل ويحول الفارق إلى أرباح. والسؤال إذن ليس هل ترتفع الإنتاجية، فهي ترتفع فعلا، إنما إلى أين يذهب هذا الفائض: إلى أجور من ينتجونه وتقليص ساعات عملهم وتحسين شروطهم، أم إلى أرباح أرباب العمل الرأسماليين، والجواب ماثل أمامنا، إنها الجهة الثانية.

ويتخذ هذا كله أوضح صوره في ميدان العمل، حيث يقدم الذكاء الاصطناعي كائنا مستقلا «يستولي» على الوظائف من تلقاء نفسه، وهذا غطاء أيديولوجي يخفي أن كل وظيفة تلغى قرار يتخذه مجلس إدارة، حتى إن كبار مالكي هذه التقنية يتحدثون عن استغناء قريب عن مهن كثيرة يعمل فيها عشرات الملايين. وحتى حيث لا يحل الذكاء الاصطناعي محل أحد، يكفي التلويح باحتماله لينضبط الجميع، فيقبل الشغيلة ساعات أطول وأجورا أدنى ومراقبة أدق خوفا من الطرد. إنه جيش العمل الاحتياطي في صيغته الرقمية، يكفي رأس المال أن يبقيه ماثلا في الأفق ليضعف قدرة الطبقة العاملة

على التفاوض والتنظيم والإضراب. والبطالة هنا ليست قدرا تقنيا، فهي قرار يتخذه رأس المال، والتقنية ذاتها التي تلغي وظيفة قادرة على تقليص يوم العمل مع بقاء الأجر وتوسيع وقت الراحة، لو كان القرار بيد من ينتجون القيمة. وهذا صراع طبقي بامتياز لا نتيجة تقنية محايدة.

وأيا كان الوجه الذي ننظر منه إلى هذه التقنية، ضررا أم نفعا أم أرباحا، فالجواب يعود في كل مرة إلى الجهة ذاتها: من يملك هو من يقرر. وليس هذا تكرارا عارضا، فالخوارزميات في جواهرها معادلات رياضية لا طبقة لها في ذاتها، تكتسب وظيفتها الاجتماعية والسياسية من علاقات الإنتاج التي تشتغل داخلها، ومن الجهة التي تملك البيانات ومعاملها ومراكز معالجتها وتقرر لأي غرض تشتغل ولمصلحة من.

وهنا يبرز التناقض الأساسي، فالذكاء الاصطناعي منتج اجتماعي بامتياز، بني على المعرفة البشرية المتراكمة وعلى عمل الملايين، غير أن ثماره تستحوذ عليها حفنة من الاحتكارات والدول بوصفها ملكية خاصة. إنه التناقض بين الطابع الاجتماعي للإنتاج والاستحواذ الخاص على نتائجه، يعاد إنتاجه اليوم في أكثر قوى الإنتاج تطورا في تاريخ البشرية. فالمشكلة الأساسية ليست في الآلة بذاتها بقدر ما هي في ملكية وسائل الإنتاج الرقمي والسيطرة عليها، وهذا ما ينقل المعركة من ميدان الشكوى من التكنولوجيا إلى ميدان الصراع الطبقي.

خلاصة ومهمات، نحو ذكاء اصطناعي في خدمة البشرية

إذا استمرت هذه الديناميكية من دون مواجهة جماعية قائمة على وعي

جعل البنية التحتية للبيانات خاضعة للمصلحة العامة وللإدارة الديمقراطية والمساءلة المجتمعية، وتحويل الخوارزميات من «صناديق سوداء» مغلقة إلى برمجيات مفتوحة المصدر قابلة للمراجعة الجماعية والتدقيق المستقل، وفرض الشفافية في تصميم النماذج وفي مصادر البيانات التي تدرب عليها، ودعم بدائل رقمية تعاونية يملكها المستخدمون والمستخدمات والعاملون والعاملات فيها. كما ينبغي توجيه هذه التكنولوجيا لخدمة حاجات المجتمع، والمساهمة في توزيع الثروة وتنظيم الإنتاج وعلاج الأمراض ومكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية.

فمن دون هذه الآليات، تبقى الدعوة إلى القوانين والرقابة والتنظيم عامة وقاصرة، وتظل التكنولوجيا رهينة احتكار قلة من الشركات الرأسمالية الاحتكارية والقوى الكبرى. أما عبر الملكية والمساءلة المجتمعية والبدائل التعاونية، فيصبح ممكناً انتزاع الذكاء الاصطناعي من منطق الاحتكار والربح، وتحويله إلى ملك جماعي ووسيلة لتحرير الإنسان وخدمة البشرية، بدلاً من أن يتحول إلى أداة لاستعبادها.

يساري وتقدمي وحقوقية، ومن دون قوانين دولية ومحلية وتشريعات تضمن العدالة والشفافية الرقمية وتؤطرها وفق أطر اجتماعية وجماهيرية، فقد يتحوّل الذكاء الاصطناعي تدريجياً من أداة في يد الرأسمالية إلى نظام يحل محل وظائف أساسية من العقل البشري تُدار عبره الحياة اليومية، وقد بدأ يتحقق ذلك فعلياً من خلال الاستخدام المفرط للتطبيقات الرقمية والذكاء الاصطناعي في معظم مفاصل الحياة اليومية المهنية والشخصية.

إن ما يواجهنا اليوم ليس قدراً تقنياً محتوماً، وإنما نتاج خيارات سياسية واقتصادية تخدم مصالح رأس المال، ويمكن مواجهته وإن كان ذلك صعباً. فالسيطرة على الذكاء الاصطناعي وضبط الخوارزميات وإخضاعها لرقابة ديمقراطية مسؤولية جماعية تتطلب عملاً وتنظيماً يساريًا تقدمياً وحقوقياً على المستوى العالمي، وطرح بدائل رقمية مجتمعية وتشاركية تعيد للإنسان قدرته على التفكير المستقل والفعل الجماعي، وتجعل التطبيقات الرقمية أدوات مساعدة تخدم العقل البشري وليست بديلاً عنه.

ولتحقيق ذلك، لا بد من العمل على

المصادر

- 1 - AI & Society - Attention is all they need: cognitive science and the (techno)political economy of attention in humans and machines
<https://link.springer.com/article/10.1007/s00146-025-02400-z>
- 2 - Time - How OpenAI Lost Control of an AI Model—and What Needs to Change
<https://time.com/article/2026/07/24/openai-hugging-face-attack/>
- 3 - Pacing the Frontier - A statement from 1,386 employees of frontier AI companies
<https://www.pacingthefrontier.com/>
- 4 - International AI Safety Report - International AI Safety Report 2026
<https://internationalaisafetyreport.org/publication/international-ai-safety-report-2026>
- 5 - Future of Life Institute - Statement on Superintelligence
<https://superintelligence-statement.org/>
- 6 - Al Jazeera - 'An apocalypse': Why are experts sounding the alarm on AI risks?
<https://www.aljazeera.com/news/2026/2/15/why-are-experts-sounding-the-alarm-on-ai-risks>
- 7 - ITU - Global number of Internet users increases, but disparities deepen key digital divides (Facts and Figures 2025)
<https://www.itu.int/en/mediacentre/Pages/PR-2025-11-17-Facts-and-Figures.aspx>

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

8 - Michael Kwet (SSRN) - Digital Colonialism: US Empire and the New Imperialism in the Global South https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3232297

9 - MIT Media Lab - Your Brain on ChatGPT: Accumulation of Cognitive Debt when Using an AI Assistant for Essay Writing Task

<https://www.media.mit.edu/publications/your-brain-on-chatgpt/>

10 - Societies (MDPI), Michael Gerlich - AI Tools in Society: Impacts on Cognitive Offloading and the Future of Critical Thinking

<https://www.mdpi.com/2075-4698/15/1/6>

11 - OPB - Kids who use social media score lower on reading and memory tests, a study shows

<https://www.opb.org/article/2025/10/13/social-media-use-linked-to-lower-reading-memory-scores-in-prenees/>

12 - The Local Denmark - 'Crisis': Danish school students record worst ever results in reading and maths

<https://www.thelocal.dk/20260908/crisis-danish-results-in-reading-and-maths-worst-ever-in-new-pisa-poll>

13 - Euronews - Pupils' reading and maths skills slump across the world as digitalisation soars, PISA study shows

<https://www.euronews.com/my-europe/2026/09/08/pupils-reading-and-maths-skills-slump-across-the-world-as-digitalisation-soars-pisa-study>

14 - Policy Studies, Robert Chisnall - Digital slavery, time for abolition?

<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/01442872.2020.1724926>

15 - Creati AI - Mutually Automated Destruction: The Escalating Global AI Arms Race Between the US and China

<https://creati.ai/ai-news/2026-04-12/us-china-ai-arms-race-autonomous-weapons-military/>

16 - Center for AI Safety - Statement on AI Extinction Risk

<https://aistatement.com/>

17 - The Guardian - Peter Thiel at the Republican National Convention, July 2016

<https://www.theguardian.com/technology/2016/jul/21/peter-thiel-republican-convention-speech>

18 - Al-Shabaka - AI for War: Big Tech

Empowering Israel's Crimes and Occupation <https://al-shabaka.org/briefs/ai-for-war-big-tech-empowering-israels-crimes-and-occupation/>

19 - Business & Human Rights Resource Centre - Amazon, Google, Microsoft fuel Israeli military aggression in Israel's war on Gaza, investigation reveals

<https://www.business-humanrights.org/en/latest-news/amazon-google-microsoft-fuel-israeli-military-aggression-in-israels-war-on-gaza-investigation-reveals/>

20 - Business & Human Rights Resource Centre - Palantir allegedly enables Israel's AI targeting amid Israel's war in Gaza, raising concerns over war crimes

<https://www.business-humanrights.org/es/%C3%BAltimas-noticias/palantir-allegedly-enables-israels-ai-targeting-amid-israels-war-in-gaza-raising-concerns-over-war-crimes/>

21 - American Immigration Council - ICE to Use ImmigrationOS by Palantir, a New AI System, to Track Immigrants' Movements

<https://www.americanimmigrationcouncil.org/blog/ice-immigrationos-palantir-ai-track-immigrants/>

22 - Amnesty International USA - Palantir Technologies Contracts Raise Human Rights Concerns before NYSE Direct Listing

<https://www.amnestyusa.org/press-releases/palantirs-contracts-with-ice-raise-human-rights-concerns-around-direct-listing/>

23 - AlgorithmWatch - The Musk Effect: X's impact on Germany's election

<https://algorithmwatch.org/en/the-musk-effect/>

24 - Scientific Reports, Kestin et al. - AI tutoring outperforms in-class active learning: an RCT introducing a novel research-based design in an authentic educational setting <https://www.nature.com/articles/s41598-025-97652-6>

25 - World Bank - From Chalkboards to Chatbots: Evaluating the Impact of Generative AI on Learning Outcomes in Nigeria

<https://openknowledge.worldbank.org/entities/publication/15e1ff08-15ae-4f7a-b2a8-d146e6c113ee/full>

26 - NBER, Erik Brynjolfsson, Danielle Li & Lindsey Raymond - Generative AI at Work <https://www.nber.org/papers/w31161>

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

محمد الغزالي وفنّ النظر الشرعي

ملاحم المنهج الأصولي بين النص والعقل والواقع

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، نظرتَه إلى النص في إطاره الكلي، ورفضه أن تُفهم الجزئيات منفصلة عن سياقها أو أن يُبنى التصور الشرعي على نص واحد معزول عن مجموع النصوص والمعاني التي تنتظم موضوعه.

وهذا ليس مجرد استنتاج من تطبيقات الغزالي، وإنما صرّح به في كيف نتعامل مع القرآن، حين تحدث عن تعدد المناهج في فهم القرآن، وميّز بين القراءة التي تنظر إلى القرآن في وحدته الكلية والقراءة الانتقائية التي تسلخ الآيات عن سياقها الكلي. ثم يقرر أن من خصائص القرآن أن له «وحدته الكلية المنهجية»، وأن لكل سورة عمودها وهدفها الأساسي.

والأهم من ذلك أن الغزالي لا يجعل هذه النظرة الكلية مجرد فضيلة في التفسير، بل يجعلها أساساً لفهم الخطاب القرآني كله؛ فهو يرى أن اختزال القرآن في المجال التشريعي وحده أفضى إلى تضيق مفهوم الفقه، وأن لكل مجال من مجالات الخطاب القرآني طبيعته ومقصده وأدواته. ولذلك يرفض نقل المنهج الذي وضعه الأصوليون لاستنباط الأحكام الشرعية ليكون منهجاً وحيثاً للتعامل مع جميع مجالات القرآن؛ إذ يقول: «لكل مجال آلات لفهمه».

وهنا تظهر دقة المنهج عند الغزالي؛ فهو لا يرفض المنهج الأصولي، بل يضعه في مجاله الصحيح، ويرفض في الوقت نفسه اختزال القرآن

حين يُذكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، تتبادر إلى الذهن صور متعددة: الداعية، والمصلح، والمفكر، والخطيب، والكاتب الذي امتلك قدرة متميزة على مخاطبة العقل والوجدان معاً. غير أن هذه الصور، على أهميتها، لا تستوعب حقيقة مشروعه الفكري كله؛ إذ تكشف قراءة كتبه عن منهج في النظر والاستدلال يتجاوز المواقف الجزئية، وتنتظم تحته طريقة في التعامل مع النصوص، وفهم دلالاتها، وربط جزئياتها بكلياتها، واستحضار مقاصدها، والموازنة بين الأدلة والمصالح والمفاسد.

ولم يكن الغزالي يعرض هذا المنهج في صورة نظرية أصولية مجردة، ولا جمع قواعده في مصنف مستقل على طريقة كتب أصول الفقه؛ وإنما تتوزع معالمه في كتبه المتنوعة، وتظهر بصورة أوضح حين نُقرأ مواقفه وتطبيقاته قراءة تجمع بينها، وتبحث عن الأصول التي تقف وراءها.

ومن هنا يمكن القول إن المنهج الأصولي في فكر الغزالي يتجلى في مجموعة من الأصول المنهجية المتكررة، من أبرزها: النظر الكلي إلى النص، واستحضار المقاصد، وجمع الأدلة، وفقه السنة، وإعمال العقل في الفهم، والتحرر من سلطة الرجال، والموازنة بين المصالح والمفاسد.

أولاً: النظر الكلي إلى النص

من أبرز معالم المنهج الأصولي عند

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



بقلم: عيد محمد عبدالغني

محافظه البحيرة - جمهورية مصر العربية - eid.md29@gmail.com

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

كله في طريقة واحدة من طرق القراءة. فالمنهج الأصولي عنده لا يعني تطبيق قواعد دلالات الألفاظ والأحكام على كل آية وقصة ومشهد كوني وسنة اجتماعية، وإنما يعني أن يُنظر إلى كل مجال من خلال طبيعته ومقصده وأدواته، مع بقاء الجميع داخل الرؤية القرآنية الكلية.

ويتحول هذا الأصل من مجرد تقرير نظري إلى ممارسة واضحة عند الغزالي؛ ففي موضع آخر من الكتاب، حين يناقش فهم بعض الروايات، يرد الخطأ إلى «النظرة الجزئية» والعجز عن فقه النص، ويدعو إلى النظرة الموضوعية التي تضع الرواية في إطارها الأوسع.

ومن هنا يمكن القول إن رد الجزئي إلى الكلي، والنظر في النص ضمن منظومته لا منفصلاً عنها، من الأصول البارزة في طريقة الغزالي في الفهم والاستدلال؛ وهو أصل يتكرر أثره في تعامله مع القرآن والسنة والفقه والقضايا الفكرية والاجتماعية

ثانياً: المقاصد بوصفها مفتاحاً للفهم

ولا ينفصل النظر الكلي عند الغزالي عن عنايته بالمقاصد؛ فالنظر إلى القرآن في وحدته الكلية يقود بالضرورة إلى البحث عن المعاني الكبرى والغايات الجامعة التي تنتظم آياته وسوره.

ولعل أظهر تطبيق لذلك عند الغزالي ما صنعه في كتابه «المحاور الخمسة للقرآن الكريم»؛ فهو لا يتعامل مع القرآن باعتباره مسائل متفرقة، وإنما يحاول الكشف عن القضايا الكبرى التي تنتظم خطابه. وقد جعل للقرآن خمسة محاور رئيسة: الله الواحد، والكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والبعث

والجزاء، والتربية والتشريع.

واللافت هنا أن الغزالي لم يرد بهذا التقسيم مجرد ترتيب موضوعي لمباحث القرآن، وإنما أراد أن يكشف عن ما وراء كثرة الآيات وتنوع الموضوعات من وحدة في الغاية والمقصد. فالتوحيد عنده ليس مسألة عقدية منعزلة، والقصص ليس سرداً تاريخياً لمجرد المعرفة، والآيات الكونية ليست عرضاً لمعلومات عن الكون، والتشريع ليس أحكاماً منفصلة عن بناء الإنسان؛ وإنما تتآزر هذه المجالات جميعاً في صناعة الإنسان الذي يحقق العبودية لله ويقوم بدوره في الحياة.

ومن هنا تظهر قيمة المقصد في منهجه: إنه لا يسأل فقط: ماذا تقول الآية؟ وإنما يسأل كذلك: ماذا تريد هذه الآية أن تصنع في الإنسان؟ وما موقعها من الغاية الكبرى للخطاب القرآني؟

وهذا المعنى يظهر أيضاً في كيف نتعامل مع القرآن؟؛ فالكتاب في أصله مدارة حول أسباب القصور في فهم القرآن ووسائل تلقيه وأهدافه، مع التأكيد على إدراك مقاصد الآيات وعدم الاقتصار على الأفهام الموروثة أو الجزئية.

وهنا يتحول المقصد من نتيجة للفهم إلى أداة من أدواته؛ فالقراءة الجزئية قد تستخرج حكماً أو معنى قريباً، لكن القراءة المقاصدية تبحث عن موقع ذلك الحكم أو المعنى في البناء القرآني العام.

ولذلك فإن الغزالي لا يقف عند حدود تسمية المقاصد، بل يوظفها في إعادة ترتيب الأولويات، وربط التشريع بالتربية، وربط العقيدة بالعمل، وربط

القرآن بواقع الإنسان وحركته في الحياة. وهذا ما يفسر حضور البعد الحضاري والتربوي في قراءته للقرآن؛ فالمقاصد عنده ليست مجرد بيان «لماذا شُرع الحكم؟»، وإنما هي جزء من الإجابة عن سؤال أكبر: ما الذي يريد القرآن أن يصنعه بالإنسان والمجتمع؟ وقد أشارت دراسة متخصصة إلى أن الغزالي ربط المقاصد القرآنية كذلك بالبناء الحضاري وإعادة تشكيل العقل المسلم.

ومن هنا يمكن أن نقرر أن المقاصد في المنهج الأصولي عند الغزالي ليست ملحقًا بالتفسير، وإنما هي إحدى الآليات التي تضبط الفهم وتمنع اختزال النص في جزئية مبتورة عن غايته الكلية.

ثالثًا: جمع الأدلة والنظر في مجموع النصوص

من الأصول البارزة في منهج الغزالي رحمه الله عدم بناء التصور أو الحكم على دليل معزول عن بقية الأدلة؛ فالنص الشرعي عنده لا يعيش منفردًا، وإنما يُقرأ في علاقته بمجموع النصوص والقواعد والمقاصد التي تشترك في بناء الحكم.

وهذا المعنى يصرح به الغزالي نفسه في مقدمة كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، حين يجعل من أهم ما أضيف إلى الكتاب في إحدى طبعاته «توثيق الروابط بين الأحاديث الشريفة ودلالات القرآن القريبة والبعيدة»، ويقرر أن الدراسة الإسلامية المكتملة لا تستغني عن الأمرين معًا: تدبر القرآن، وربط السنة بدلالاته.

وهنا لا يعود القرآن عند الغزالي مجرد مصدر آخر من مصادر الاستدلال، وإنما يصبح الإطار الذي تُفهم السنة في

ضوئه؛ فالحديث لا يُقرأ بمعزل عن القرآن، ولا تُستخرج دلالاته دون النظر في مجموع الخطاب الشرعي.

ويقدم الغزالي في الكتاب تطبيقًا واضحًا لذلك في مسألة القصاص في قتل غير المسلم؛ إذ يناقش حديث: «لا يُقتل مسلم بكافر»، ويعرض موقف أبي حنيفة الذي لم يأخذ بظاهر الحديث في صورة معينة، مع صحة سنده، لما رآه من تعارض دلالاته مع جملة من النصوص القرآنية، ومنها مبدأ «النفوس بالنفوس»، وقوله تعالى: «وَأَن احْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ».

وهنا تظهر المسألة الأصولية بوضوح: صحة الحديث من جهة الرواية لا تعني أن دلالاته تُفهم بمعزل عن بقية النصوص؛ إذ لا بد من جمع الأدلة، والنظر في علاقتها، وتحديد وجه الجمع بينها أو الترجيح عند التعارض الظاهر.

والغزالي نفسه يقرر في مقدمة الكتاب أنه لا يتجه إلى تضعيف الحديث لمجرد إمكان الاعتراض عليه، وإنما يريد أن يعمل الحديث «داخل سياق» من دلالات القرآن القريبة والبعيدة.

وهذا التعبير بالغ الدلالة على منهجه؛ فالقضية عنده ليست حديثًا في مواجهة قرآن، وإنما نصوص شرعية يفسر بعضها بعضًا، ويُنظر إليها داخل بنية كلية.

فالغزالي لا يتعامل مع الأدلة على طريقة الجمع العددي، وإنما على طريقة الجمع المنهجي؛ فيبحث عن العلاقة بين النصوص، وعن دلالة كل نص في ضوء سائر النصوص، ثم يبني الحكم على مجموع الصورة لا على جزء منها.

وهذا يفسر كذلك عنايته بالفقهاء

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

في مقابل الاختصار على الرواية؛ فالفقيه - في تصويره - لا يكتفي بأن يعرف أن الحديث ورد، وإنما ينظر أين يوضع هذا الحديث في خارطة الأدلة؟ وما دلالاته؟ وهل له معارض؟ وهل يمكن الجمع؟ وهل يتصل بقاعدة كلية أو مقصد شرعي؟

ولهذا فإن جمع الأدلة عند الغزالي ليس مرحلة تالية لفهم النص، بل هو جزء من عملية فهم النص نفسها.

رابعاً: فقه السنة لا مجرد رواية السنة

ومن أبرز ملامح المنهج الأصولي عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، أن تعامله مع السنة النبوية لم يكن مقصوراً على رواية الحديث وإثبات صحته، وإنما كان يتجاوز ذلك إلى فقه الحديث وفهم دلالاته وتنزيله في سياقه الشرعي والواقعي. فالسنة عنده ليست نصوفاً متفرقة تُستخرج منها الأحكام بمعزل عن غيرها، وإنما هي جزء من منظومة تشريعية متكاملة، لا يستقيم فهم جزئي منها إلا في ضوء كلياتها ومقاصدها وعلاقتها بالقرآن الكريم.

ومن هنا كان الغزالي يرفض أن تتحول العناية بالسند إلى بديل عن العناية بالفقه؛ إذ إن صحة الحديث لا تعني بالضرورة صحة الفهم المستخرج منه، كما أن ثبوت النص لا يغني عن النظر في دلالاته، وسياقه، وملابساته، وما يتصل به من نصوص أخرى. ولذلك كان يؤكد ضرورة رد الجزئي إلى الكلي، والخاص إلى العام، والنص إلى مجموع النصوص، حتى لا يُحَقَّل الحديث ما لا يحتمل، أو يُستخرج منه حكم يتعارض مع محكمات القرآن وأصول الشريعة ومقاصدها.

ويتضح ذلك في معالجته لعدد من القضايا التي شاعت فيها قراءات جزئية لبعض الأحاديث، ولا سيما ما يتصل بالمرأة والمجتمع والأخلاق والعلاقات الإنسانية؛ إذ لم يكن يكتفي بإيراد الرواية أو مناقشة سندها، بل كان ينتقل إلى السؤال الأهم: كيف فُهم هذا الحديث؟ وما موقعه داخل البناء العام للشريعة؟ وهل دلالاته قطعية أم محتملة؟ وهل تتعلق بواقعة مخصصة أم بحكم عام؟ وكيف يمكن تنزيلها على واقع مغاير في ظروفه وأحواله؟

وبذلك أقام الغزالي تمييزاً منهجياً مهماً بين ثبوت السنة، وفهم السنة، وفقه السنة، وتنزيل السنة؛ وهي مراحل متميزة وإن كانت مترابطة. فالحديث الصحيح لا يُقرأ منعزلاً عن القرآن، ولا يُفهم بمعزل عن بقية السنة، ولا يُنزل دون مراعاة لمقاصد التشريع وقواعده وسياق الواقع.

وهنا تظهر الطبيعة الأصولية لمنهج الغزالي بجلاء؛ فهو لا يتعامل مع الحديث باعتباره دليلاً منفرداً يُنتزع من سياقه، وإنما باعتباره لبنة في بناء تشريعي متكامل. ومن ثم فإن قيمة السنة في منهجه لا تكمن في مجرد حفظ الروايات وكثرة الاستشهاد بها، وإنما في القدرة على تحويل الرواية إلى فقه، والنص إلى فهم، والفهم إلى حكم منضبط، والحكم إلى تنزيل يحقق مقصود الشارع.

وعليه، فإن عناية الغزالي بالسنة لا يمكن اختزالها في موقف من حديث بعينه أو في قبول رواية وردت أخرى، بل ينبغي فهمها ضمن تصويره الأوسع للمنهج الشرعي؛ حيث تتكامل الرواية والدراية، والثبوت والدلالة، والجزئي

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

الشارع في ضوء مجموع الأدلة والقواعد والكليات.

ويظهر هذا المنهج بوضوح في طريقته في التعامل مع النصوص التي قد يبدو ظاهرها متعارضًا مع العقل أو مع الواقع أو مع محكمات الشريعة؛ إذ لا يسارع إلى رد النص، ولا يكتفي كذلك بقبول ظاهرٍ قد يفضي إلى إشكال، وإنما يبحث عن وجه الفهم الصحيح من خلال الجمع بين الأدلة، والنظر في السياق، وتمييز الحقيقة من المجاز، والخاص من العام، والمطلق من المقيد، والوسيلة من الغاية، والواقعة الجزئية من القاعدة الكلية.

ومن هنا يمكن القول إن العقل عند الغزالي يمثل أداةً تفسيرية وأصولية تضبط عملية الانتقال من النص إلى الفهم، لا سلطةً تشريعية تنازع الوحي سلطانه. فالعقل لا يُنشئ الوحي، لكنه يمنع من إساءة فهمه؛ ولا يضع الأحكام من عنده، لكنه يعين على إدراك عللها ومقاصدها ومجالات تطبيقها.

وبذلك جمع الغزالي بين طرفين كثيرًا ما وقع الخلاف بينهما: احترام النص وعدم الثقلت من دلالاته، واحترام العقل وعدم تعطيله في عملية الفهم. فالمشكلة في نظره ليست في النص الشرعي، وإنما قد تكون في طريقة قراءته؛ إذ يمكن للنص الواحد أن يُساء فهمه حين يُعزل عن سياقه أو يُفصل عن كلياته أو يُقرأ بعقلية لا تستحضر مقاصد التشريع.

وهذه السمة تكشف جانبًا مهمًا من أصولية الغزالي؛ إذ لم يكن مشروعه قائمًا على ثنائية النص أو العقل، وإنما على التكامل بينهما: نصٌ يُهدي العقل،

والكلي، والنص والمقصد، والحكم والواقع. وهذه النقلة من مجرد رواية السنة إلى فقهها تمثل أحد أبرز وجوه المنهج الأصولي الذي ميز مشروعه الفكري.

خامسًا: إعمال العقل في فهم النص

ومن السمات البارزة في المنهج الأصولي عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، إعمال العقل في فهم النص الشرعي، من غير أن يعني ذلك تقديم العقل على الوحي أو إخضاع النصوص للأهواء والتصورات البشرية؛ وإنما المقصود توظيف العقل بوصفه أداةً لفهم مراد الشارع، والكشف عن دلالات النص، وربط جزئياته بكلياته، وتنزيل أحكامه في مواضعها الصحيحة.

فالنص الشرعي عند الغزالي لا يُقرأ قراءةً آلية جامدة، وإنما يُستقبل بعقلٍ واعٍ يدرك دلالات الألفاظ، ويفقه سياقات الخطاب، ويميز بين المقاصد والوسائل، وبين الثوابت والمتغيرات، وبين ما هو قطعي الدلالة وما يحتمل أكثر من وجه. ومن هنا كان يرفض أن تتحول المحافظة على النص إلى جمود في الفهم، كما كان يرفض في المقابل أن يتحول إعمال العقل إلى وسيلة لتعطيل النص أو صرفه عن دلالاته بلا مستند شرعي.

وقد انطلق الغزالي في ذلك من حقيقة أصولية مهمة، وهي أن الوحي لا يخاطب الإنسان بمعزل عن عقله؛ فالقرآن نفسه يكرر دعوة الإنسان إلى النظر والتدبر والتفكير والتعقل، مما يجعل العقل شريكًا في عملية الفهم، لا مصدرًا مستقلًا للتشريع. ولذلك فإن إعمال العقل عنده لا يعني إنشاء حكم من خارج النص، وإنما يعني حسن التعامل مع النص من داخله، وفهم مراد

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

وعقلٌ يفهم النص، وأصولٌ تضبط العلاقة بينهما، ومقاصدٌ تحفظ للفهم اتجاهه وغاياته. ومن ثم أصبح إعمال العقل عنده وسيلة لحماية النص من الجمود، كما هو في الوقت نفسه وسيلة لحماية العقل من الانفلات.

سادسًا: معرفة الرجال بالحق لا معرفة الحق بالرجال

ومن المعالم المهمة في المنهج الأصولي عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، تحرير العقل العلمي من سلطة الأشخاص، والانطلاق من قاعدة راسخة مفادها أن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما يُعرف الرجال بالحق. فالعالم عنده يُحترم بقدر علمه، ويُنتفع باجتهاده، لكن لا يتحول اجتهاده إلى حجة قائمة بذاتها، ولا تصبح مكانته العلمية مانعًا من مراجعة قوله أو مناقشة دليله.

وهذا المبدأ لا يعني عند الغزالي إسقاط مكانة العلماء أو التقليل من شأن التراث، وإنما يعني التمييز بين احترام العالم وبين تقديس قوله، وبين الاستفادة من الموروث وبين الجمود عليه. فالعالم مهما بلغ قدره يظل اجتهاده اجتهادًا بشريًا قابلاً للنظر والمناقشة، أما الحجة فمصدرها الدليل وقوة الاستدلال وانسجام القول مع أصول الشريعة ومقاصدها.

ومن هنا كان الغزالي يمارس قراءته للتراث قراءةً نقديةً لا انتقائية؛ فيقبل من أقوال العلماء ما قام عليه الدليل، ويناقش ما يرى فيه ضعفًا في الاستدلال أو قصورًا في الفهم، دون أن يجعل شهرة القائل أو مكانته العلمية معيارًا لصحة القول. ولذلك لم يكن يتعامل مع التراث باعتباره كتلةً مغلقة لا يجوز الاقتراب منها بالنقد، بل باعتباره

نتائجًا علميًا بشريًا تراكم عبر القرون، يحمل جوانب من القوة والصواب، كما يحمل اجتهدات وظروفًا تاريخية قابلة للمراجعة.

ويتصل هذا المبدأ اتصالًا وثيقًا بالمنهج الأصولي؛ لأن أصول الاستدلال تقتضي أن تكون الحجة هي معيار القبول والرد، لا مجرد انتساب القول إلى إمام أو مذهب أو مدرسة. فقول الإمام يُستدل له ولا يُستدل به على سبيل التسليم المطلق، وقوة الدليل لا تستمد قيمتها من اسم صاحبها، وإنما من سلامة الاستدلال وصحة المقدمات والنتائج.

وقد انعكس ذلك في موقف الغزالي من عدد من القضايا الفقهية والفكرية؛ إذ كان مستعدًا لمناقشة آراء كبار العلماء إذا رأى أن ظاهرها لا ينسجم مع أصول القرآن أو مقاصد الشريعة أو مقتضيات العقل السليم، كما كان يستفيد من آراء من سبقه دون أن يحبس نفسه داخل إطار مذهبي أو شخصي مغلق.

وهنا تتجلى استقلالية الغزالي العلمية؛ فهو لم يكن يسأل أولًا: من قال هذا؟ وإنما كان يسأل: ماذا قال؟ وما دليله؟ وهل يصح الاستدلال به؟ وكيف ينسجم مع مجموع النصوص وأصول الشريعة؟ وهذا لا يعني تجاهل أقوال العلماء، بل وضعها في موضعها الصحيح: تُدرس وتُفهم وتُنَاقش، ثم يُرجح بينها بميزان العلم والدليل.

ومن ثم فإن قاعدة «اعرف الحق تعرف أهله» تمثل في مشروع الغزالي مبدأً منهجيًا يتجاوز مجرد الاستقلال الفكري؛ فهي تؤسس لعلاقة صحيحة

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

بين الباحث والتراث، قوامها الاحترام دون تقديس، والاستفادة دون تقليد أعمى، والنقد دون إسقاط، والاحتكام إلى الدليل دون الارتهان إلى الأسماء.

وبهذا حافظ الغزالي على صلته بالتراث، دون أن يجعل التراث حجاباً بينه وبين الدليل؛ فكان يقرأ أقوال العلماء بعين التلميذ المستفيد، وبعين الباحث الناقد في آن واحد. وهذه إحدى صور الاستقلال العلمي التي أسهمت في تشكيل منهجه الأصولي، وجعلت مرجعيته النهائية في تقويم الأقوال هي الحق والدليل، لا مجرد مكانة القائل.

سابعاً: الموازنة بين المصالح والمفاسد

ومن أبرز معالم المنهج الأصولي عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، استحضار مبدأ الموازنة بين المصالح والمفاسد عند النظر في القضايا الشرعية والواقعية؛ إذ لم يكن ينظر إلى الحكم الشرعي باعتباره معزولاً عن آثاره ونتائجه، وإنما كان يستحضر الغايات التي جاءت الشريعة لتحقيقها، وما يترتب على تنزيل الحكم من مصالح أو مفاسد.

وهذه الموازنة ليست خروجاً عن النص أو استبدالاً للأحكام الشرعية بمعايير نفعية متغيرة، وإنما هي من صميم الفقه المقاصدي الذي يراعي مآلات الأفعال ونتائجها، ويفرق بين ما يحقق مقصد الشارع وما قد يؤدي، رغم سلامة صورته الظاهرة، إلى تعطيل ذلك المقصد أو الإضرار به.

ومن هنا كان الغزالي ينظر إلى المسألة من أكثر من زاوية؛ فلا يكتفي

بالسؤال: ما الحكم؟ وإنما يضيف إليه أسئلة أخرى: ما المصلحة التي يستهدفها هذا الحكم؟ وما المفسدة التي جاء لمنعها؟ وما أثر تطبيقه في الواقع؟ وهل يؤدي تنزيله في هذه الصورة إلى تحقيق المقصود الشرعي أم إلى نتيجة تناقضه؟

ويتضح هذا المنهج بصورة خاصة في القضايا التي تتعدد فيها المصالح وتتعارض فيها الآثار؛ حيث لا يتعامل الغزالي معها بمنطق ثنائي بسيط، وإنما يحاول ترتيب المصالح والمفاسد بحسب مراتبها، والنظر في مدى قوتها وعمومها واستمرارها، ومراعاة ما يترتب على تقديم مصلحة جزئية من تفويت مصلحة أكبر، أو ما قد ينشأ عن دفع مفسدة محدودة من وقوع مفسدة أعظم.

وهذا يقتضي كذلك عند الغزالي النظر في مآلات الأحكام؛ لأن الحكم الشرعي لا يفهم كاملاً بمجرد النظر إلى صورته المباشرة، وإنما ينبغي النظر إلى ما يفضي إليه تطبيقه في الواقع. فقد يكون الفعل في أصله مشروعاً، لكن طريقة ممارسته أو توقيته أو الظروف المحيطة به تجعل مآله مفضياً إلى مفسدة معتبرة، وقد تكون هناك مصلحة صحيحة في أصلها، لكنها لا تُقدّم إذا ترتب عليها من الضرر ما هو أعظم منها.

وبذلك يتجاوز المنهج الغزالي القراءة التجريدية للأحكام إلى فقه الواقع وفقه المآلات، دون أن يفصل ذلك عن أصول الشريعة. فالمصلحة عنده ليست ما استحسنه الإنسان بعقله المجرد، وإنما المصلحة التي تنسجم مع مقاصد الشرع وكلياته، والمفسدة ليست

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

مجرد ما يكرهه الإنسان، وإنما ما اعتبره الشرع مفسدة أو دلت أصوله وقواعده على اعتباره كذلك.

ومن هنا تظهر الطبيعة الأصولية لهذا المبدأ؛ فالموازنة بين المصالح والمفاسد ليست قرارًا انطباعيًا، وإنما تحتاج إلى فقه بالنصوص، وفهم للمقاصد، ومعرفة بالواقع، وإدراك للمآلات، وترتيب للمصالح والمفاسد بحسب درجاتها. ولذلك فإن المجتهد عند الغزالي لا يقف عند حدود الحكم النظري، بل ينظر في أثره حين يتحول من نص إلى واقع، ومن قاعدة إلى ممارسة.

وعليه، فإن الموازنة بين المصالح والمفاسد عند الشيخ محمد الغزالي تمثل إحدى الأدوات التي تكشف عن حيوية منهجه الأصولي وقدرته على الجمع بين النص والواقع؛ فهو لا يريد شريعة تُحفظ نصوصها وتتعلل مقاصدها، ولا واقعًا تُراعى مصالحه بمعزل عن الوحي، وإنما يسعى إلى تحقيق التوازن بينهما من خلال فهم النص في ضوء مقاصده، والنظر في الواقع في ضوء أحكامه، بحيث يكون تنزيل الشريعة محققًا لمصالح العباد ودافعًا للمفاسد، في إطار ما قرره أصولها وكلياتها.

وفي الختام يتبين من مجموع هذه المعالم أن المنهج الأصولي عند الشيخ

محمد الغزالي رحمه الله لم يكن مجرد قواعد نظرية، ولا انتصارًا لمذهب أو اجتهاد، وإنما كان منهجًا متكاملًا في قراءة الوحي وفهم الواقع وبناء الحكم الشرعي.

فهو ينطلق من النظر الكلي إلى القرآن، ورد المتشابه إلى المحكم، وجمع النصوص وفقه السنة، وإعمال العقل في حدود الوحي، وتحرير الحق من سلطة الأشخاص، والموازنة بين المصالح والمفاسد ومراعاة المآلات؛ ليصل إلى فهم يجمع بين النص ومقاصده، وبين أصالة الوحي ومتطلبات الواقع.

وبذلك حاول الغزالي أن يحرر الفقه من أسر التجزئة والجمود، وأن يعيد للنص حيويته وقدرته على توجيه الحياة؛ جامعًا بين أصالة الوحي، وصراحة العقل، ودقة الفقه، ووعي الواقع.

رحم الله الشيخ محمد الغزالي رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع درجته في المهديين، ونفع بعلمه وفكره، وجعل ما قدمه من علم ودعوة واجتهاد في ميزان حسناته، وكتب له أجر ما ترك من علم ينتفع به، وجمعنا به في مستقر رحمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

□□□!

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

حركة المسلمين السابقين وظاهرة الردة المعاصرة في جنوب آسيا

دراسة تحليلية في أزمة الهوية، ومسارات التحول، وسياسات الاستغلال

الرسمي لـ "مجلس المسلمين السابقين في بريطانيا" في عام ألفين وسبعة، على يد الناشطة مريم نمازية، كان بمثابة إعلان ولادة لهذه الهوية الجديدة. لقد صيغ الخطاب هناك ببراعة بالغة، بحيث شُحِبَ بساط النقاش من الحقل اللاهوتي ليوضع في صميم الحقل الحقوقي؛ فغدا الخارجون من الإسلام لا يُعرفون كمنشقين عن عقيدة، بل كأصوات شجاعة تكسر أغلال الصمت، وتطالب بحرية الضمير، وتحتج ضد الخوف. هذا التأييد الحقوقي سرعان ما عابر القارات، ليجد في شبه القارة الهندية، بتعقيداتها الديموغرافية والسياسية، تربة خصبة أعادت تشكيل الظاهرة بأبعاد أشد قسوة وتركيباً.

ولكي ندرك حجم هذا التحول في الهند المعاصرة، يكفي أن نستنطق لغة الأرقام التي لا تحابي أحداً. ففي بيانات مفصلة نُشرت عام ألفين وواحد وعشرين عن "مركز بيو للأبحاث"، تجلّى واقع ديموغرافي يبعث على التأمل العميق؛ إذ تبين أن هناك ما يقارب أربعة ملايين ومائة وأربعين ألف مواطن هندي، فتحو أعيانهم على الحياة في كنف أسر مسلمة، لكنهم اليوم يصرحون بملء

لئن أمعن المرء النظر في تقلبات القلوب وتصاريف الأقدار، لأدرك أن الإيمان في صدور العباد ليس طوداً شامخاً تعجز عن دكه رياح الشكوك، بل هو حالة حية تتأثر بعواصف الأيام وتحديات الواقع. وفي مسيرة الفكر الإنساني وتاريخ الأديان، طالما كانت مسألة "التحول الديني" أو الخروج من المعتقد، ولا سيما في الفقه الإسلامي، قضية تحفها الكثير من التعقيدات اللاهوتية والقانونية. فقد عكف فقهاء المذاهب الإسلامية قاطبة على تفكيك هذه الظاهرة، مميزين بدقة بين الردة بوصفها خطيئة روحية ونقضاً لعهد إلهي يعود أمر البت فيه إلى الخالق جل وعلا، وبين الردة متى ما اقترنت بالتمرد السياسي أو الخيانة العظمى لكيان الدولة والمجتمع. بيد أننا، ونحن نطوي العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، نجد أنفسنا أمام تحول جذري في بنية هذه الظاهرة، حيث لم يعد هجران الدين مأساة فردية تُكابد في عتمة الغرف المغلقة، بل استحال إلى هوية جماعية صاخبة، وحراك سياسي واجتماعي يتخذ من الفضاء العام مسرحاً لإعلان وجوده. إن بذور هذا التحول المؤسسي قد نبتت في بيئات غربية أولاً؛ ولعل التأسيس

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ
سبتمبر ٢٠٢٦ م



بقلم: د. حسن المدني الندوي

إرادتهم أنهم لم يعودوا ينتمون إلى الإسلام. وإذا كانت النسبة المئوية لهذا العدد لا تتجاوز اثنين بالمائة من إجمالي الكتلة الديموغرافية الهائلة لمسلمي الهند، التي تقارب مائتي مليون نسمة، فإن الرقم المطلق يظل رقماً مزليلاً يعكس حراكاً اجتماعياً لا يمكن غض الطرف عنه. وما يضيف على هذه الإحصاءات خطورتها ليس الكم فحسب، بل ذلك التحول النوعي في طبيعة هؤلاء الأفراد؛ فهم في الغالب من فئة الشباب الحضري المتعلم القاطن في كبريات الحواضر الهندية، والذين لم يعودوا يخشون العواقب الاجتماعية أو القطيعة الأسرية، بل باتوا يجهرون بهويتهم الجديدة، مشكلين "أقلية داخل الأقلية" تتحدى البنى التقليدية للمجتمع المسلم.

إن تشريح هذه التجربة الروحية القاسية يستدعي منا تجاوز التفسيرات السطحية التي تختزل ترك الدين في مجرد "شهوة متفلتة" أو "رشوة مادية". وهنا، تبرز أهمية المقاربات العلمية الرصينة، كنظرية عالم الاجتماع "لويس رامبو" التي وضعها في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين حول سيروية التحول الديني. يرى رامبو أن تغيير المعتقد ليس قفزة مفاجئة في الفراغ، بل هو مخاض عسير يمر بسبع مراحل متداخلة ومعقدة. تبدأ الرحلة بـ "السياق" الثقافي والاجتماعي المحيط بالفرد، ثم تندلع "الأزمة" الوجودية أو المعرفية التي تزلزل يقينه، لتدفعه نحو مرحلة

"البحث" المحموم عن إجابات تروي ظمأه. وتتوالى المراحل عبر "اللقاء" بالبديل، و"التفاعل" معه، ثم "الالتزام" النهائي، لتنتهي بمرحلة تحمل "العواقب" المترتبة على هذا الانسلاخ. إن العبقرية في طرح رامبو تكمن في إثباته أن الهيكل النفسي لهذه المعاناة يتطابق تماماً بين البشر، سواء كان المتحول يترك الإسلام إلى الإلحاد، أو يترك المسيحية إلى البوذية؛ فالألم الروحي واحد، والتمزق النفسي مشترك. وقد تأكد هذا المسار من خلال تقارير مركز "زويمر" لدراسات المسلمين، التي رصدت موجة عاتية من الأزمات الإيمانية تجتاح الشباب ليس في الغرب العلماني فحسب، بل في قلب المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة كباكستان وإيران وغيرها، مما يؤكد أننا أمام ظاهرة إنسانية عالمية تتغذى على التنافر المعرفي والانفتاح الفضائي.

غير أن قراءة هذه الظاهرة في الهند تظل ناقصة إن لم نعص في الجذور التاريخية والاجتماعية العميقة لجنوب آسيا. فالتاريخ يخبرنا، كما يوثق المؤرخ البارز "ريتشارد إيتون" في دراساته حول دخول الإسلام إلى البنغال، أن التحول الديني في هذه الجغرافيا لم يكن يوماً مجرد قناعة لاهوتية مجردة تعقد في العقول، بل كان في صميمه استراتيجية اجتماعية كبرى للنجاة. لقد وجد ملايين المستضعفين في الإسلام ملاذاً للفرار من جحيم النظام الطبقي (البراهمي)

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

الخانق، باحثين عن كرامة إنسانية ومساواة اجتماعية في ظل نظام سياسي واقتصادي جديد. وبطبيعة الحال، لم يقف المجتمع الهندوسي مكتوف الأيدي أمام هذا النزيف الديموغرافي؛ ففي القرن التاسع عشر، نهضت حركات الانبعاث القومي الهندوسي، وعلى رأسها حركة "آريا سماج"، لتطلق حملات منظمة تحت اسم "شودي"، أي طقوس التطهير، غايتها الروحية والسياسية استعادة من تسربوا إلى الإسلام أو المسيحية، وإعادةهم إلى الحضيرة الهندوسية.

هذا الإرث التاريخي الثقيل لم يندثر، بل انبعث اليوم من رماده ليكتسي حلة سياسية شرسة تمثلت في حملات "غار وابسي" (العودة إلى الوطن الأم). فهذه الحملات التي تتعهددها وترعاها أذرع اليمين القومي الهندوسي المتطرف، مثل "المجلس العالمي الهندوسي" (VHP) و"راشتريا سوايامسيفاك سانغ" (RSS)، لا تنطلق من دوافع روحية خالصة لنشر الهداية، بل هي كما يصفها مفكرون أمثال "أشوتوش فارشني" و"جيتا ريندال"، مجرد أدوات في مشروع أيديولوجي ضخم يهدف إلى "أسرلة الهند" (Hinduization). إنها محاولة حثيثة لإعادة تعريف الهوية الوطنية الهندية، بحيث تُنزع عنها صفاتها العلمانية الدستورية الجامعة، لتُستبدل بولاء عاطفي وديني للحضارة الهندوسية

وحدها. وفي هذا السياق المحموم، تُستغل الأزمات الروحية للشباب المسلم، وتُقتنص حالات ارتدادهم لتُعرض في الفضاء العام كغنائم حرب وانتصارات سياسية تثبت تفوق الأيديولوجيا القومية.

وتتجسد المأساة في أقسى صورها عندما ندرك أن الكثير من حالات الانسلاخ عن الإسلام في الهند لا تقف وراءها قناعات فلسفية، بل تكمن خلفها هشاشة بنيوية واقتصادية تفتك بالأقليات. ففي ديسمبر من عام ألفين وأربعة عشر، شهدت ولاية كيرالا حادثة ذات دلالات عميقة، حيث أُجريت طقوس العودة (غار وابسي) برعاية المجلس العالمي الهندوسي لإحدى عشرة شخصاً ينتمون لطائفة "الداليت" المنبوذة، والذين كانوا يحملون أسماء إسلامية. إن المتأمل في تفاصيل هذا الحدث يدرك يقيناً أن الدافع لم يكن نوراً هبط على القلوب، بل كان قانوناً جائراً يطوق الأعناق؛ فالدستور الهندي يحرم أبناء طائفة الداليت من الاستفادة من نظام "الكوتا" (الحصص المجانية في الوظائف والتعليم) بمجرد اعتناقهم للإسلام أو المسيحية. وبالتالي، كانت العودة إلى الهندوسية هنا مجرد حيلة قانونية قاهرة لانتزاع حق مسلوب من أجل البقاء الاقتصادي.

ولا يختلف المشهد كثيراً في الشمال الهندي، وتحديدًا في منطقة مظفر نجار بولاية أوتار براديش. هناك، سُجلت عودة

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

لمجلس الوقف الشيعي في أوتار براديش)، والذي اختار اعتناق الهندوسية في أواخر عام ألفين وواحد وعشرين في خطوة أثارت عواصف من الجدل. ويقترب منه في الدوافع المخرج الكيرالي الشهير "علي أكبر"، الذي تخلى عن اسمه واختار اسم "راماسيمهان"، معلناً أن تحوله كان صرخة غضب واحتجاج على مواقف شريحة من المسلمين تفاعلت بشكل اعتبره سلبياً مع حادثة مقتل الجنرال الهندي ييبين راوات. وعلى صعيد آخر، نرى مساراً ثقافياً بحثاً يحركه الحنين إلى الجذور البراهمية العتيقة، كما حدث مع الموسيقار البارز "آشيش خان" الذي كان يُدعى ديب شارما، أو حالة الإمام السابق "ماهيندرا بال آريا" الذي ترك محراب المسجد ليعود إلى ديانة الآباء.

في المقابل، هناك من لم تسقهم أقدامهم نحو الهندوسية، بل قادهم البحث المضني عن السكينة والسلام الداخلي إلى وجهات روحية أخرى بعيداً عن أتون السياسة. فالتاريخ الفني يسجل كيف انسلت الممثلة الفاتنة "بارفين بابي" بهدوء نحو المسيحية بحثاً عن طمأنينة افتقدتها في صخب الحياة، وكيف وجد المغني البنجابي ذائع الصيت "كولديب مانك" ضالته في السيخية، بينما اتجه نجم الكريكيت السريلانكي "تيلاكاريثني ديلشان" نحو الفلسفة البوذية. إن قراءة هذه الحالات المتنوعة تقودنا إلى استنتاج قاطع: إن هجران الإسلام في جنوب آسيا ليس مرادفاً

خمس عشرة نفساً، يمثلون خمس عائلات غارقة في الفقر المدقع بمنطقة "بينولي"، إلى الديانة الهندوسية عبر بوابة معبد "آريا سماج"، وذلك بعد ثمانية عشر عاماً قضاها في رحاب الإسلام. لقد تلقف القائمون على المعبد هذا الحدث لتوظيفه في الدعاية السياسية الفجة، مدعين أن هؤلاء أكرهوا قديماً على الإسلام. غير أن الحقيقة الساطعة التي تغاضى عنها الجميع هي الفشل الذريع للمؤسسات الإسلامية العريقة والمكاتب والمدارس الدينية في تلك المنطقة عن توفير مظلة حماية اجتماعية أو ارتقاء مادي لهؤلاء الضعفاء. وفي خضم هذا التجاذب، يبرز مصطلح "الجمود الاجتماعي" (Social Stasis) الذي نحتة الباحث "إم. في. سوبرامانيام"، ليصف بدقة حال هؤلاء العائدين؛ فهم يظلون معلقين في فراغ موحش، فلا هم ينعمون بقبول كامل واحتضان حقيقي في طبقات المجتمع الهندوسي، ولا هم ينجون من وصمة ماضيهم الإسلامي.

وعند تسليط المجهر على النماذج الفردية التي تصدرت مشهد التحول الديني علانية، نجد طيفاً واسعاً من الدوافع المعقدة. فهناك مسار يُغلف بالاحتجاج السياسي وتصفية الحسابات الطائفية، ويتجلى بوضوح في حالة "جيتندرا تياجي"، الذي كان يُعرف سابقاً بـ "وسيم رضوي" (الرئيس السابق

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

حتمياً للانحدار نحو الإلحاد المادي الصرف، بل هو في أعرق طبقاته صرخة إنسان تائه يبحث عن الهوية، ويستجدي الأمان، وينشد التناغم الروحي في مجتمع تتلاطم فيه أمواج الطائفية. وفي غمرة هذه التحولات، برز الفضاء الرقمي كلاعب محوري أعاد صياغة قواعد اللعبة. فكما وثقت الصحفية "سوميا فاليرو" في أبحاثها، غدت منصات التواصل الاجتماعي، مثل منصة إكس (تويتر) ويوتيوب، بمثابة رئات يتنفس من خلالها "المسلمون السابقون". في هذه العوالم الافتراضية، يبنون شبكات تضامن متخيلة، ويشكلون ملاذات آمنة يبوحن فيها بمعاناتهم وعزلتهم. ولكن، سرعان ما تنقشع غيوم هذه الرومانسية الرقمية لتكشف عن واقع مفترس؛ فهذه الفضاءات ليست محايدة أو بريئة. إن الحسابات الوهمية والجيش الإلكتروني التابع لليمين الهندوسي تقبع هناك بالمرصاد، وتتصيد هذه السرديات الفردية الموجهة، وتنتزعها من سياقها الإنساني لتضخمها وتعيد تدويرها كوقود لآلة الكراهية، محولة أنين الفرد المتشكك إلى خنجر يطعن في ظهر الأقلية المسلمة بأسرها. وهكذا يجد المرء الذي ترك دينه بحثاً عن حريته، أنه قد سقط في أسر عبودية سياسية جديدة، يُستغل فيها ككأس انتصار يُرفع في مهرجانات التخويف والاستقطاب.

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

إن هذه المحنة المركبة تضع المؤسسات الإسلامية المعاصرة في قفص المساءلة التاريخية. فلو أدركنا عجلة الزمان إلى الوراء واستنطقنا التراث الفقهي الكلاسيكي، لوجدنا عند أئمة الهدى وسعة الأفق، من أمثال إبراهيم النخعي، وسفيان الثوري، وصولاً إلى شمس الأئمة السرخسي، نهجاً رحباً يفيض بالتسامح. لقد كانوا يرون في تغيير العقيدة شأنًا فردياً تُرجأ محاسبته إلى الدار الآخرة، وتُدفع عقوبته الدنيوية ما لم يقترن هذا التغيير بخيانة عظمى أو رفع للسلاح في وجه المجتمع. هذه الروح المتسعة التي كانت تستوعب الشاك وتجاوزته، تلاشت للأسف الشديد في أروقة المؤسسات الدينية الحديثة والمجالس التي تحتكر تمثيل المسلمين اليوم. لقد اختزلت هذه المؤسسات الدين الخاتم العظيم في قوالب فقهية جافة ومدونات أحوال شخصية جامدة، متغافلة عن الرعاية الروحية والتحصين الفلسفي، مما خلق شرخاً هائلاً وحالة من التنافر المعرفي لدى الشباب المثقف، وتركهم فريسة سهلة في ساحات الوغى الرقمي والسياسي. ولا ننسى في هذا السياق كيف استُخدمت قوانين الردة إبان الحقبة الاستعمارية البريطانية كحيلة قانونية محضة من قبل بعض النساء المسلمات لفسخ زيجاتهن هرباً من تعسف القوانين، مما يؤكد مرة تلو أخرى أن الدين كثيراً ما يُتخذ في هذه الجغرافيا ذريعة لتحقيق النجاة الاجتماعية والقانونية.

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

وخلاصة القول، وصفوة البيان، أن ظاهرة "المسلم السابق" في شبه القارة الهندية ليست سطراً عابراً في كتاب التاريخ، بل هي جرح نازف ونداء استغاثة مدوّ. إنها قضية لا تحتل المعالجات السطحية المبنية على التخوين، أو الثنائيات الساذجة التي تقف عند حدود "حرية الاختيار" المزعومة أو "الإكراه" المحض. إنها بالأحرى مزيج تراجيدي من القلق الوجودي العميق للفرد، والهشاشة المؤسسية للأقلية، والانتهازية المتوحشة لتيارات سياسية لا تعرف الرحمة. ولقد بات لازماً على المفكرين والباحثين، وقادة الرأي في العالم الإسلامي، أن ينزلوا من أبراجهم العاجية لمعانقة هذه السرديات المؤلمة بعين العطف الإنساني البصير، والصرامة العلمية المتجردة. إن المسؤولية التاريخية تقتضي تحصين الشباب بوعي فلسفي عميق، وبناء مؤسسات لا تكتفي بتلقين الحلال والحرام، بل تمتد لتكون حصوناً اجتماعية واقتصادية ترفع عن كاهل المستضعفين غائلة الفقر والعوز، كي لا يبقى أبناء الأمة أحجار شطرنج تُسحق في لعبة المصالح الطائفية، أو أوراقاً تتناثر في مهب ريح السياسة الهوجاء.

المراجع والحوالات:

• إيتون، ر. م. (١٩٨٥). "مقاربات لدراسة التحول إلى الإسلام في الهند". في: ر. روبنسون ود. سميث (محرران)، *الشعوب البدوية* (Nomadic Peoples)، العدد ١٧، ص ٤١-٤٣.

• إيفانز، ج. وسهغال، ن. (٢٠٢٥). "النتائج الرئيسية حول الدين في الهند". مركز بيو للأبحاث. متاح على الموقع الإلكتروني: (Pew Research Center)

• فاليرو، س. (٢٠٢١، ١٠ أغسطس). "المسلمون السابقون في الهند يجدون التضامن عبر الإنترنت في مواجهة الرفض الاجتماعي والعائلي". خدمة أخبار الدين (Religion News Service).

• نوت، ك.، جونز، س. ه.، وتشيبير، أ. (٢٠٢٠). "فهم التحول الديني والارتداد عنه". في: ج. كريسايدز وم. ز. جيفز (محرران)، *دليل بلومزبري للدين والصراع* (The Bloomsbury Companion to Religion and Conflict)، ص ٢٤٥-٢٦٧. بلومزبري أكاديمي.

• نمازية، م. (٢٠١٣). "المسلمون السابقون: مجتمع في احتجاج". مجلة *فري إنكوايري* (Free Inquiry)، المجلد ٣٣، العدد ٦، ص ٢٠-٢٢.

• مركز بيو للأبحاث. (٢٠٢١). *الدين في الهند: التسامح والفصل*. منشورات مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center Publications).

• رامبو، ل. ر. (١٩٩٣). *فهم التحول الديني* (Understanding Religious Conversion). مطبعة جامعة ييل (Yale University Press).

• رامبو، ل. ر. (١٩٩٩). "نظريات التحول: فهم وتفسير التغير الديني". مجلة *سوشيال كومباس* (Social Compass)، المجلد ٤٦، العدد ٣، ص ٢٥٩-٢٧١.

• ريندال، ج. (٢٠١٩، ٩ مايو). "العودة إلى الوطن (غار وابسي) والذهاب بعيداً: السياسة وجدل التحول الجماعي في الهند". مجلة *أديان* (Religions)، المجلد ١٠، العدد ٥، ٣١٣.

• شانكار داس، ي. (٢٠٢٢، ١٠ نوفمبر). "ظاهرة المسلمين السابقين: المسلمون السابقون هجروا الإسلام لكنهم يدعمون

المسلمين في قضية القانون المدني الموحد والحجاب". موقع *نيو إيج إسلام* (New Age Islam).

• سوبرامانيام، م. ف. (٢٠٢٢). "التجاوز وراء الإيمان: اليوغي المسلم والتحول الديني في شمال الهند". مجلة *جنوب آسيا المعاصرة* (Contemporary South Asia)، المجلد ٣٠، العدد ٤، ص ٤٣٦-٤٥٥.

• شركة ثوسيف (2026). (THOUSIF Inc.)، ٣ مايو). "كم عدد المسلمين السابقين في الهند؟ رؤى أبحاث بيو". منشورات ثوسيف (THOUSIF Publications).

• فارشني، أ. (٢٠٠٣). *الصراع العرقي والحياة المدنية: الهندوس والمسلمون في الهند* (Ethnic Conflict and Civic Life: Hindus and Muslims in India). مطبعة جامعة ييل.

• مركز زويمر لدراسات المسلمين. (٢٠٢٢، ٧ سبتمبر). "العلمانية تسحب المسلمين بعيداً عن الإسلام". منشورات مركز زويمر.

• أغنيفير (Agni veer). (بدون تاريخ). *الدفاع عن القيم الفيديّة والمساواة الاجتماعيّة*. التفويض التنظيمي الرسمي وتقارير إعادة الاعتناق.

• المؤسسة العالمية للتراث الهندوسي (2022). (GHHF). *التقرير السنوي عن مبادرات غار وابسي والدعم القانوني*.

• منظمة العناية المسيحية الدولية (International Christian Concern). (2018). *التبشير وزرع الكنائس في ريف بنغلاديش: تقارير الانتقال ٢٠١٦-٢٠١٧*.

• جريدة تايمز أوف إنديا (The Times of India). (2021). "الرئيس السابق لمجلس الوقف الشيعي في أوتار براديش وسيم رضوي يعتنق الهندوسية ويصبح جيتيندرا نارايان سينغ تياجي". نُشر في ٦ ديسمبر ٢٠٢١.

• جريدة ذا هيندو (2022). (The Hindu). "المخرج السينمائي الكيرالي علي أكبر يعتنق..."

□□□

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

من إدارة الحسابات إلى صناعة التأثير

كيف أصبح التسويق الرقمي مهنة متكاملة؟

الميزانية وقراءة البيانات لا تقل أهمية عن قيمة الميزانية نفسها.

المتابعون ليسوا المعيار الوحيد

عدد المتابعين مهم، لكنه ليس المقياس الوحيد للنجاح. فقد يمتلك حساب ما أعدادًا كبيرة من المتابعين دون تفاعل حقيقي، بينما يستطيع حساب أصغر تحقيق نتائج أفضل بسبب امتلاكه جمهورًا مهتمًا ومتفاعلًا.

لهذا أصبحت قراءة مؤشرات مثل الوصول والمشاهدات والتفاعل ونمو الجمهور جزءًا أساسيًا من عمل مدير الحسابات.

السوق العراقي وفرص الإعلام الرقمي

يشهد العراق توسعًا واضحًا في استخدام المنصات الرقمية، ما خلق فرصًا كبيرة أمام أصحاب المشاريع والعلامات التجارية والعاملين في صناعة المحتوى والتسويق الرقمي.

ومن خلال العمل في هذا المجال، أرى أن المرحلة المقبلة لن تكون لمن ينشر أكثر، وإنما لمن يفهم جمهوره أكثر ويستطيع تحويل البيانات والأفكار إلى محتوى مؤثر ونتائج حقيقية.

في النهاية، يستطيع أي شخص إنشاء حساب على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن تحويله إلى علامة رقمية مؤثرة يحتاج إلى استراتيجية وهوية واستمرارية.

□□□

لم تعد مواقع التواصل الاجتماعي مجرد منصات للنشر والتواصل، بل أصبحت جزءًا أساسيًا من التسويق والإعلام وبناء العلامات التجارية. ومع هذا التطور، تحولت إدارة الحسابات الرقمية من مهمة بسيطة إلى مهنة تحتاج إلى التخطيط والخبرة وفهم الجمهور.

إدارة الحسابات لا تعني النشر فقط، فالحساب الناجح يحتاج إلى هوية واضحة، وخطة محتوى، وفهم لطبيعة الجمهور، إضافة إلى متابعة التفاعل وتحليل النتائج وتطوير الأداء باستمرار.

المحتوى أساس النجاح

في عالم تتنافس فيه ملايين المنشورات يوميًا على انتباه المستخدم، لم يعد نشر المحتوى بشكل مستمر كافيًا. الفكرة وطريقة تقديمها أصبحتا عنصرين أساسيين في نجاح أي حساب. كما أن لكل منصة طبيعتها وجمهورها، ولذلك لا يمكن التعامل مع إنستغرام وتيك توك وفيسبوك ويوتيوب بالطريقة نفسها. المحتوى الناجح هو الذي يتكيف مع طبيعة كل منصة ويحافظ في الوقت نفسه على هوية المشروع.

الإعلان وحده لا يكفي

يعتقد البعض أن زيادة الميزانية الإعلانية تعني نجاح الحملة، لكن الإعلان لا يستطيع وحده إنقاذ حساب يفتقر إلى استراتيجية واضحة.

الحملة الناجحة تبدأ بتحديد الهدف والجمهور المناسب، ثم اختيار المحتوى الملائم، ومتابعة النتائج وإجراء التعديلات اللازمة. لذلك فإن إدارة

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



بقلم: محمد جاسم حميد (حمودي الغريب)

العراق

تَعْلِيمُ الْمَرْأَةِ فِي الْإِسْلَامِ

الْأَسَاسُ الْقُرْآنِيُّ وَالْمَنْهَجُ النَّبَوِيُّ وَالذَّوْرُ الْعَمَلِيُّ

الرَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ وَسَائِرِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنَّ تَحْصِيلَهَا لِقَدْرِ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْعِلْمِ يُصْبِحُ أَمْرًا لَا غَنَى عَنْهُ. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْأَسَاسَ الْحَقِيقِيَّ لِتَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَمَسَ فِي النُّظَرِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَإِنَّمَا فِي مَفْهُومِ التَّكْلِيفِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ قَدَّمَ الْقُرْآنُ الْمَرْأَةَ بِوَصْفِهَا شَخْصِيَّةً دِينِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً مَسْئُولَةً، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧١].

فَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مُتَنَاصِرُونَ فِي إِقَامَةِ الْخَيْرِ وَمَقَاوِمَةِ الْمُنْكَرِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ لَا يُفَكِّرُ أَنْ تُؤَدَّى عَلَى وَجْهٍهَا إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ؛ إِذْ كَيْفَ يَأْمُرُ الْإِنْسَانُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ حُدُودَهُ، أَوْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ يَجْهَلُ أَحْكَامَهُ؟ وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ عِلْمَ الْمَرْأَةِ لَيْسَ شَأْنًا شَخْصِيًّا مَحْضًا، بَلْ هُوَ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُعِينُهَا عَلَى أَدَاءِ مَسْئُولِيَّتِهَا الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ.

وَقَدْ أَكَّدَ الْقُرْآنُ اسْتِقْلَالَ الْمَرْأَةِ فِي الْمَسْئُولِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٣٥].

الْعِلْمُ مِنَ الْحَاجَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ؛ فَهُوَ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَرَائِكُمٍ لِلْمَعْلُومَاتِ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ لِلْفِكْرِ، وَدَلِيلٌ لِلْعَمَلِ، وَوَسِيلَةٌ لِتَحْدِيدِ اتِّجَاهِ الْحَيَاةِ. وَلِهَذَا جَعَلَ الْإِسْلَامُ الْعِلْمَ فِي صَمِيمِ دَعْوَتِهِ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى لِتُرْجُلِ الْوَحْيِ. فَقَدْ افْتَتَحَتِ الرِّسَالَةُ بِآيَاتٍ تَدْعُو إِلَى الْقِرَاءَةِ، وَتَرْبِطُ الْعِلْمَ بِمَعْرِفَةِ الْحَالِيقِ وَمَقْصُودِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [الْعَلَقُ: ١-٥]. وَلَمْ يَجْعَلِ الْقُرْآنُ الْعِلْمَ مِيرَاثًا لِجِنْسٍ ذَوْنِ آخَرٍ، بَلْ قَرَّرَ فَضْلَ الْعِلْمِ وَأَهْلِيهِ فِي خِطَابٍ عَامٍّ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٩]. وَعَلَّمَ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ الْمَزِيدَ مِنَ الْعِلْمِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وَتَوَسَّسَ هَذِهِ النُّصُوصُ لِمَقْبَدٍ وَاضِحٍ، وَهُوَ أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ أَسْبَابِ الْفُضِيلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تُسْتَنَى مِنْ هَذَا الْأَصْلِ لِمُجَرَّدِ كَوْنِهَا امْرَأَةً.

وَمَعَ ذَلِكَ، يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ الدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ وَبَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ الْمُبَاشِرِ عَلَى تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ؛ فَلَيْسَ مِنَ الدِّقَّةِ الْعِلْمِيَّةِ أَنْ تُجْعَلَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَحْدَهَا نَصًّا خَاصًّا فِي تَعْلِيمِ النِّسَاءِ. لَكِنَّ الْقُرْآنَ جَعَلَ الْمَرْأَةَ كَمَا جَعَلَ الرَّجُلَ مُخَاطَبَةً بِالتَّكْلِيفِ، مَسْئُولَةً عَنِ الْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالِاتِّزَامِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ. فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مُطَالِبَةً بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالطَّهَارَةِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



محمد عارف المنظري الزهري

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م

فَالْآيَةُ لَا تَعْرِضُ الْمَرْأَةَ بِوُضُفِهَا كَائِنًا تَابِعًا فَاقِدًا لِلِاسْتِقْلَالِ فِي الْمَسْئُورِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَذَكُّرُهَا إِلَى جَانِبِ الرَّجُلِ فِي مَبَادِينِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْعِبَادَةِ وَالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ وَالْخُشُوعِ وَالصَّدَقَةِ وَالصِّيَامِ وَالْعِفَّةِ وَالذَّكْرِ، وَتُقَرَّرُ لَهُمَا مَعَا الْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ ثَمَّ فَاَلْمَرْأَةُ شَخْصِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي التَّكْلِيفِ وَالْمَحَاسِبَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ هَذِهِ الْمَسْئُورِيَّةُ مِنْ غَيْرِ قَدَرٍ مُنَاسِبٍ مِنَ الْوَعْيِ وَالْعِلْمِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْآيَةَ لَا تَقْتُلُ نَصًا مُبَاشِرًا فِي وَجُوبِ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ، لَكِنَّهَا تَقْدِّمُ أُسَاسًا مُرَآئِيًّا قَوِيًّا لِإِثْبَاتِ شَخْصِيَّتِهِنَّ الدِّينِيَّةِ وَحَاجَتِهِنَّ إِلَى الْعِلْمِ.

وَقَدْ انْتَقَلَ هَذَا الْأَصْلُ مِنَ الْمَجَالِ النَّظَرِيِّ إِلَى التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ. فَقَدْ جَاءَتِ النِّسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْكُونَ أَنَّ الرِّجَالَ قَدْ غَلَبَوْهُنَّ عَلَى مَجَالِيسِ الْعِلْمِ، وَظَلَمْنَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُنَّ يَوْمًا خَاصًّا يَتَلَقَّيْنَ فِيهِ الْعِلْمَ وَالتَّوْجِيهَ. فَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ لِطَلِبِهِنَّ، وَعَيَّنَ لَهُنَّ يَوْمًا، وَاجْتَمَعَ بِهِنَّ وَعَلَّمَهُنَّ وَوَعَّظَهُنَّ. وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهَذَا الْمَوْقِفُ النَّبَوِيُّ لَا يَدُلُّ فَقَطْ عَلَى جَوَازِ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ، بَلْ يَكْشِفُ عَنْ أَمْرِ أَعَمَّقِ، وَهُوَ أَنَّ الْمَرْأَةَ فِي الْمُجْتَمَعِ النَّبَوِيِّ كَانَتْ تُدْرِكُ حَاجَتَهَا إِلَى الْعِلْمِ، وَتُطَالِبُ بِحَقِّهَا فِي التَّعَلُّمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْحَاجَةِ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ وَيَهَيِّئُ لَهَا الْوَسِيلَةَ الْمُنَاسِبَةَ. (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْعِلْمِ).

كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخُصُّ النِّسَاءَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَظَ النِّسَاءَ وَذَكَّرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، حَتَّى بَادَرَتِ النِّسَاءُ إِلَى

التَّصَدَّقِ بِحُلِيِّهِنَّ. وَهَذَا يَكْشِفُ أَنَّ التَّعْلِيمَ النَّبَوِيَّ لِمَرْأَةٍ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ إِلْقَاءِ مَعْلُومَاتٍ، وَإِنَّمَا كَانَ تَعْلِيمًا يَصْنَعُ الْوَعْيَ وَيَحْوِلُ الْمَعْرِفَةَ إِلَى عَمَلٍ وَسُلُوكٍ.

وَمِنْ أَشْرَقِ النَّمَازِجِ عَلَى ثَمَرَةِ تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَمَقِّ نِسَاءِ الْأُمَّةِ وَأَعْلَمِهِنَّ، وَلَمْ يَفْتَضِرْ أَثَرُهَا الْعِلْمِيُّ عَلَى دَائِرَةِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ رَجَعَ إِلَيْهَا كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالسِّيَرَةِ وَغَيْرِهَا. وَكَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ حَدِيثٌ فَسَأَلُوا عَائِشَةَ وَجَدُوا عِنْدَهَا عِلْمًا مِنْهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي فَضْلِهَا: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ التَّيْرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ).

وَهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ تَقْدِّمُ نَمُودَجًا بَالِغَ الدَّلَالَةِ؛ فَاَلْمَرْأَةُ فِي النَّصُورِ الْإِسْلَامِيِّ لَيْسَتْ مُطَالِبَةً بِأَنْ تَكُونَ طَالِبَةً عِلْمٍ فَحَسَبُ، بَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ حَافِظَةً لِلْعِلْمِ، وَزَاوِيَةً لَهُ، وَمُعَلِّمَةً وَمُفِيدَةً لِلآخَرِينَ. وَلَمْ تَكُنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَالَةً مُنفَرَدَةً فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ عُرِفَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّعْلِيمِ، وَمِنْهُنَّ فَاطِمَةُ السَّمَرْقَنْدِيَّةُ الَّتِي اسْتَهَرَّتْ بِالْفِقْهِ وَالْعِلْمِ. وَاسْتَفَرَّتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي مُخْتَلِفِ الْعُصُورِ، فَكَانَتْ لِلنِّسَاءِ مُشَارَكَاتٌ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَتَذْرِيسِهِ، وَفِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَتَتَأَكَّدُ أَهَمِّيَّةُ تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ بِصُورَةٍ أَكْبَرَ حِينَ نَنْظُرُ إِلَى الْأُسْرَةِ؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التَّحْرِيمِ: ٦]. وَحِمَايَةُ الْأُسْرَةِ مِنْ أَسْبَابِ الْإِنْحِرَافِ لَا تَتَحَقَّقُ بِالْعَاطِفَةِ وَحْدَهَا، وَإِنَّمَا تَحْتَاجُ

إِلَى عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِالْأَحْكَامِ،
وَوَعْيٍ أَخْلَاقِيٍّ وَتَرْبَوِيٍّ. وَالْمَرْأَةُ تُؤَدِّي
دَوْرًا مَحَوْرِيًّا فِي بِنَاءِ الْجَوِّ الْأُسْرِيِّ
وَتَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ الْأَبْنَاءِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ
جَهْلَهَا بِالذِّينِ لَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهَا وَحْدَهَا،
بَلْ قَدْ يَفْتَدُّ أَثَرُهُ إِلَى جِيلٍ كَامِلٍ.

فَالطِّفْلُ يَتَلَقَّى أَوَّلَى دُرُوسِهِ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ الْمَدْرَسَةَ، وَيَتَعَلَّمُ كَثِيرًا مِنْ مَعَانِي
الصِّدْقِ وَالرَّحْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالْأَدَبِ مِنْ
سُلُوكِ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا مِنَ الْكُتُبِ.
فَإِذَا كَانَتِ الْأُمُّ وَاعِيَةً بِدِينِهَا، عَارِفَةً
بِسِيرَةِ نَبِيِّهَا ﷺ، مُدْرِكَةً لِأَسَالِيبِ التَّرْبِيَةِ،
اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ الْبَيْتِ بَيْتَهُ
لِلْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِلْمِ. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ
تَعْلِيمَ الْمَرْأَةِ يَحْمِلُ أَثَرًا يَتَجَاوَزُ الْفَرْدَ إِلَى
الْأُسْرَةِ، ثُمَّ إِلَى الْمُجْتَمَعِ، ثُمَّ إِلَى الْأَجْيَالِ
اللَّاحِقَةِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الدَّوْرَ الْعَمَلِيَّ لِلْمَرْأَةِ
فِي الْإِسْلَامِ لَا يَنْحَصِرُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ،
وَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ الْوُضُوعَةُ مِنْ أَجْلِ
وُظَائِفِهَا وَأَعْظَمِهَا أَثَرًا. فَقَدْ شَارَكَتِ
النِّسَاءُ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ فِي الْبَيْعَةِ
وَالْحَجِّ وَالْعِبَادَةِ وَالْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ
الْمَشْرُوعَةِ، وَقَعْنَ بِأَعْمَالِ الرِّعَايَةِ
وَالْخِدْمَةِ، وَشَارَكْنَ فِي بَعْضِ مَجَالَاتِ
الطِّبِّ وَالتَّمْرِيزِ وَغَيْرِهَا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ
وَالظَّرُوفِ. وَفِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ بَرَزَتْ
نِسَاءٌ فِي التَّعْلِيمِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ
وَالْأَدَبِ وَالْعَقْلِ الْخَيْرِيِّ. وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَجْعَلِ الْمَرْأَةَ غُنُصْرًا
مَعْرُولًا عَنِ الْمُجْتَمَعِ، وَإِنَّمَا أَتَاكَ لَهَا أَنْ
تُؤَدِّيَ دَوْرَهَا فِي مَيَادِينِ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ
بِحَسَبِ قُدْرَتِهَا وَحَاجَتِهَا، مَعَ مُرَاعَاةِ
أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَدَابِهَا.

وَمِنْ هُنَا يَتَخَدَّدُ الْمَقْصُودُ الْحَقِيقِيُّ
مِنْ تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ. فَالتَّعْلِيمُ الَّذِي يَفْنَحُهَا
شَهَادَةً وَلَا يَفْنَحُهَا وَغِيًّا، أَوْ يُوسِّعُ

مَعْلُومَاتِهَا وَلَا يَبْنِي أَخْلَاقَهَا، يَطْلُ
قَاصِرًا عَنْ تَحْقِيقِ الْغَايَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ
الْعِلْمِ. الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلْمٍ
يُعَرِّفُهَا بِرَبِّهَا وَدِينِهَا، وَيَجْعَلُهَا قَادِرَةً
عَلَى فَهْمِ حُقُوقِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَيُعِينَهَا
عَلَى إِدَارَةِ شُؤُونِ أُسْرَتِهَا، وَتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا،
وَالْإِسْهَامِ فِي خِدْمَةِ مُجْتَمَعِهَا. فَإِذَا
تَخَصَّصَتْ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ كَانَتْ
قَادِرَةً عَلَى سَدِّ حَاجَةِ النِّسَاءِ إِلَى الْعِلْمِ،
وَإِذَا عَمَلَتْ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ كَانَتْ قَادِرَةً
عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَإِذَا
اخْتَارَتِ الطِّبَّ كَانَ عَمَلُهَا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ
خِدْمَةِ النَّاسِ، وَإِذَا حَمَلَتْ الْقَلَمَ وَجَّهَتْهُ
إِلَى مَا يَنْفَعُ وَيُصْلِحُ.

وَلَا تَعَارِضُ فِي الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ
بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَيَاءِ. فَقَدْ أَمَرَ الْقُرْآنُ الرِّجَالَ
وَالنِّسَاءَ جَمِيعًا بِغَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ
الْفُرُوجِ، وَجَعَلَ الْعِفَّةَ وَالْوَقَارَ مِنْ أُسُسِ
الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّلِيمَةِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ
تَعْلِيمَ الْمَرْأَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتَةٍ
تَحْفَظُ كَرَامَتَهَا وَتَصُونُ خُصُوصِيَّتَهَا
وَتُرَاعِي الْأَدَابَ الشَّرْعِيَّةَ. وَلَيْسَ مِنَ
الصَّوَابِ أَنْ يُجْعَلَ كُلُّ اجْتِمَاعٍ بَيْنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ دُونَ نَظَرٍ إِلَى
الظَّرُوفِ وَالْحَاجَةِ، كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ تَتَحَوَّلَ
الْحَاجَةُ إِلَى التَّعْلِيمِ إِلَى مُبَرِّرٍ لِلْإِلْغَاءِ
الصَّوَابِ الشَّرْعِيَّةِ. فَهَنَّاكَ فَرَّقَ بَيْنَ
التَّعَامُلِ الَّذِي تَفْتَضِيهِ الْحَاجَةُ أَوْ
الْمَصْلَحَةُ وَبَيْنَ الْخُلُوعِ وَالتَّبَرُّجِ وَالتَّوَسُّعِ
فِي الْمَخَالَطَةِ غَيْرِ الصَّرُورِيَّةِ. وَكُلَّمَا أَمَكْنَ
تَوْفِيرُ بَيْتَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ مُسْتَقْلِلَةٍ لِلنِّسَاءِ كَانَ
ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ
وَصِيَانَةِ الْحَيَاءِ، مَعَ مُرَاعَاةِ اخْتِلَافِ
الْأَحْوَالِ وَالْحَاجَاتِ.

وَهَذَا التَّوَارُؤُ هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ
يَحْكُمَ نَظَرَتَنَا الْمَعَاصِرَةَ إِلَى تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ.
فَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ أَنْ نَحْرِمَهَا الْعِلْمَ حَوْفًا

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ
سبتمبر ٢٠٢٦ م

مِنَ الْإِنْحِرَافِ، كَمَا لَا يَصِحُّ أَنْ نَجْعَلَ
الْإِنْفِتَاحَ عَلَى التَّعْلِيمِ مُرَادِفًا لِلتَّخَلِّي عَنْ
الَّذِينَ وَالْقِيَمِ. الْإِسْلَامُ لَا يُرِيدُ امْرَأَةً
جَاهِلَةً بِاسْمِ الْحَيَاءِ، وَلَا امْرَأَةً مُنْفَصِلَةً
عَنْ هَوِيَّتِهَا بِاسْمِ التَّعْلِيمِ؛ وَإِنَّمَا يُرِيدُ
امْرَأَةً وَاعِيَةً بِدِينِهَا، قَوِيَّةً فِي
شَخْصِيَّتِهَا، نَافِعَةً فِي مُجْتَمَعِهَا،
مُحَافِظَةً عَلَى عَقِيدَتِهَا وَكَرَامَتِهَا، وَقَادِرَةً
عَلَى أَدَاءِ مَسْئُولِيَّاتِهَا بِوَعْيٍ وَبَصِيرَةٍ.

وَمِنْ أَهَمِّ حَاجَاتِ الْمُجْتَمَعَاتِ
الْمُسْلِمَةِ الْيَوْمَ أَنْ تُنَشِئَ لِلنِّسَاءِ
مُؤَسَّسَاتٍ تَعْلِيمِيَّةً رَصِينَةً تَجْمَعُ بَيْنَ
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْمُعَاصِرَةِ،
وَتُبْنِي شَخْصِيَّةَ الظَّالِمَةِ قَبْلَ أَنْ تَبْنِي
سِيرَتَهَا الْعِلْمِيَّةَ. فَالْأَمَّةُ تَحْتَاجُ إِلَى
عَالِمَاتٍ قَادِرَاتٍ عَلَى فَهْمِ قَضَايَا النِّسَاءِ
وَالْإِجَابَةِ عَنْ أَسْئَلَتِهِنَّ، وَإِلَى مُعَلِّمَاتٍ
يَجْمَعْنَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَحُسْنِ التَّرْبِيَةِ، وَإِلَى
طَبِيبَاتٍ وَبَاحِثَاتٍ وَكَاتِبَاتٍ وَمُحَدِّثَاتٍ
يُقَدِّمْنَ خِبْرَاتِهِنَّ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ. وَلَا
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ: كَمْ امْرَأَةً حَصَلَتْ
عَلَى شَهَادَةٍ؟ بَلْ: مَاذَا صَنَعَتْ هَذِهِ
الْمَعْرِفَةُ فِي شَخْصِيَّتِهَا، وَفِي أُسْرَتِهَا،
وَفِي مُجْتَمَعِهَا؟

إِنَّ قَضِيَّةَ تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ، فِي
حَقِيقَتِهَا، أَوْسَعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ نِقَاشًا حَوْلَ
حَقِّ مُرَدِّيٍّ أَوْ مُرَضَّةٍ دِرَاسِيَّةٍ؛ إِنَّهَا قَضِيَّةٌ
تَتَّصِلُ بِمُسْتَقْبَلِ الْأُسْرَةِ وَتَكْوِينِ الْأَجْيَالِ
وَصِنَاعَةِ الْوَعْيِ فِي الْمُجْتَمَعِ. فَالْبِنْتُ
الَّتِي تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ قَدْ تُصْبِحُ عَدَاً أَوْ تَرْبِي،
وَمُعَلِّمَةٌ تُعَلِّمُ، وَبَاحِثَةٌ تُنْتِجُ الْمَعْرِفَةَ،

وَطَبِيبَةٌ تَحْدُمُ، وَكَاتِبَةٌ تُؤَيِّرُ فِي الْوَعْيِ،
وَدَاعِيَةٌ تَنْقُلُ الْخَيْرَ إِلَى غَيْرِهَا. وَمِنْ هُنَا
فَإِنَّ حِرْمَانَهَا مِنَ الْعِلْمِ لَا يَغْنِي حِرْمَانَ
مُرَدٍّ وَاحِدٍ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا قَدْ يَغْنِي إِضْعَافَ
سِلْسِلَةٍ كَامِلَةٍ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالْمَعْرِفَةِ.

إِنَّمَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ تُثَقِّنُ السَّيْرَ
مَعَ الْعَصْرِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا إِلَى امْرَأَةٍ تَفْهَمُ
عُضْرَهَا دُونَ أَنْ تَفْقِدَ بُوصْلَتَهَا؛ تَمْتَلِكُ
الْعِلْمَ دُونَ أَنْ تَفْقِدَ حَشِيَّتَهَا، وَتَعْرِفَ
حُقُوقَهَا دُونَ أَنْ تَنْسَى وَاجِبَاتِهَا،
وَتُشَارِكُ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ دُونَ أَنْ تَتَخَلَّى
عَنْ عَقِيدَتِهَا وَكَرَامَتِهَا. فَحِينَ يَجْتَمِعُ الْعِلْمُ
بِالْإِيمَانِ، وَالْعَقْلُ بِالْأَخْلَاقِ، وَالْقُدْرَةُ
بِالْمَسْئُولِيَّةِ، لَا تَعُودُ الْمَرْأَةُ مُجَرَّدَ
مُتَعَلِّمَةٍ؛ بَلْ تُصْبِحُ قُوَّةً وَاعِيَةً فِي بِنَاءِ
الْأُسْرَةِ، وَزَافِدًا لِلْعِلْمِ، وَيدَا عَامِلَةً فِي
خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَحَدَ أَهَمِّ صَانِعِي
مُسْتَقْبَلِ الْأَمَّةِ.

فَالْأَمُّ الَّتِي تَحْمِلُ الْعِلْمَ فِي عَقْلِهَا
لَا تَصُغُ طِفْلاً فِي مَهْدِهَا فَحَسْبُ، بَلْ قَدْ
تَصُغُ فِيهِ مَلَامِحَ جِيلٍ كَامِلٍ؛ وَالْبِنْتُ الَّتِي
تَنْشَأُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ لَا تَبْنِي
مُسْتَقْبَلَهَا وَحْدَهُ، بَلْ تُهَيِّئُ مُسْتَقْبَلًا
لِمَنْ سِيَّأَتِي بَعْدَهَا. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْعِنَايَةَ
بِتَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ لَيْسَتْ تَرَفًا فِكْرِيًّا وَلَا
اسْتِجَابَةً غَابِرَةً لِمُتَطَلِّبَاتِ الْعَصْرِ، بَلْ هِيَ
مِنْ مُفْتَضِّلاتِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ وَصِيَانَةِ
الْأُسْرَةِ وَإِعْدَادِ جِيلٍ يَعْرِفُ دِينَهُ، وَيَفْهَمُ
زَمَانَهُ، وَيَمْلِكُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَجْعَلُهُ قَادِرًا
عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَمَانَةَ.

□□□

مجلة عربية
شهرية جامعة
تصدر عن مجلس العلماء
في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ
سبتمبر ٢٠٢٦ م

الشباب المسلم في عصر وسائل التواصل الاجتماعي

مسؤولية. قد يكتب الإنسان تعليقًا في ثوانٍ، لكنه قد يترك أثرًا في نفس شخص آخر لسنوات. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

إن الشباب المسلم لا يحتاج إلى الهروب من العالم الرقمي، بل يحتاج إلى أن يدخل إليه بوعي وأخلاق. يمكنه أن يجعل هاتفه وسيلة للتعليم، ونشر المعرفة، والتواصل مع الأقارب، والدعوة إلى الخير، واكتشاف الثقافات واللغات، بدل أن يتحول الهاتف إلى وسيلة تسرق عمره وتشتت ذهنه.

والتحدي الحقيقي ليس في امتلاك التكنولوجيا، وإنما في امتلاك القدرة على التحكم فيها. فإذا أصبح الإنسان عاجزًا عن ترك هاتفه، أو عن التوقف عن متابعة المحتوى الذي يضره، فقد تحولت الوسيلة إلى سيد، وأصبح الإنسان تابعا لها.

إن مستقبل الشباب لا تصنعه التكنولوجيا وحدها، بل تصنعه القيم التي يحملونها وهم يستخدمون التكنولوجيا.

فلنجعل وسائل التواصل جسراً إلى المعرفة، لا طريقاً إلى الغفلة؛ ومنبراً للكلمة الطيبة، لا ساحة للإساءة؛ ووسيلة لبناء الإنسان، لا أداة لسرقة عمره.

فالوعي الرقمي اليوم جزء من مسؤوليتنا الأخلاقية، وحسن استخدام النعمة صورة من صور شكرها.

□□□

لم تعد وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا هامشيًا من حياتنا، بل أصبحت من أكثر الأدوات تأثيرًا في طريقة تفكير الإنسان وتواصله وتكوينه للآراء. يقضي كثير من الشباب ساعات طويلة في تصفح المنصات الرقمية، ومتابعة الأخبار، ومشاهدة المقاطع، والتفاعل مع الآخرين. والسؤال المهم ليس: هل نستخدم وسائل التواصل الاجتماعي؟ بل: كيف نستخدمها؟

إن الإسلام لا يعارض الوسائل الحديثة من حيث هي وسائل، وإنما ينظر إلى طريقة استخدامها والغاية منها. فالوقت نعمة، والإنسان مسؤول عن كيفية استثماره. قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ○ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١-٢]. وفي هذه السورة القصيرة تذكير عظيم بقيمة الزمن، وأن خسارة الإنسان لا ترتبط بالمال وحده، بل بإضاعة عمره فيما لا ينفع.

ومن أخطر مشكلات وسائل التواصل الاجتماعي أن الإنسان قد يعتاد استهلاك المحتوى دون أن ينتبه إلى أثره في قلبه وعقله. فليس كل ما ينتشر صحيحًا، وليس كل ما يثير الإعجاب نافعًا، وليس كل مشهور جديرًا بالمتابعة.

ولهذا ينبغي للشباب المسلم أن يتعلم التثبت، أي التحقق من صحة الخبر قبل نشره أو الحكم عليه. قال الله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. وهذه الآية تقدم مبدأً بالغ الأهمية في عصر تنتشر فيه الأخبار بسرعة كبيرة.

كما ينبغي أن نتذكر أن الكلمة

مجلة عربية

شهرية جامعة

تصدر عن مجلس العلماء

في نيبال

الفجر

ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ

سبتمبر ٢٠٢٦ م



اسم الكاتب / الباحث: حذيفة محمد إبراهيم - الدولة / الإقامة: بنغلادش

البريد الإلكتروني: hujaifamuhammadibrahim200303@gmail.com

نماذج اليوم... أجيال الغد

العقلُ البشريُّ يشبه الذكاء الاصطناعيَّ في طريقة تشكُّله؛ فما أكثر النماذج التي تُدخلها إليه، كان اتِّجاهه أقرب إليها. إذا غدَّينا عقلَ الطفلِ منذ الصغر بنماذج بعيدة عن الدين، ثم أعطينا من الدين ساعةً عابرة، فلا عجب أن يصبح الدينُ في ذهنه هامشيًّا. فالمرجعُ الذي يتكوَّن في العقل مبكرًا يؤثِّر في طريقة التفكير والحكم على الأشياء.

ومن لم ير في حياته نماذجَ صالحةً للإسلام، قد تتكوَّن لديه صورةٌ مشوَّهةٌ عنه.

ثم ينقل هذه الصورة إلى غيره، فتتضاعف النماذج السلبية في المجتمع.

وبمرور الزمن، يطالب الجيلُ الجديد بدينٍ يوافق ما تشكَّل في عقله من تصوُّرات.

فإن لم يوافق، لجأ إلى الاتهام والتضخيم وتعميم الاستثناءات. وهكذا تتراكم النماذج المنقَّرة، ويزداد النفور من الدين. لذلك لا نحتاج إلى كثرة الكلام عن الإسلام فحسب، بل نحتاج إلى أن نقدِّم الإسلام في سلوكنا وأخلاقنا نموذجًا حيًّا.

فكما يتعلَّم الذكاء الاصطناعيُّ من كثرة النماذج، يتشكَّل عقل الإنسان أيضًا بما يراه ويعيشه ويكرِّر أمامه